التفسيـر الإيديولوجي للصـراع الإيـــرانـي – السعــودي
The Ideological Interpretation Of The Iranian-Saudi Conflict

أ. إليـاس ميـسوم، أستـاذ مسـاعد قسم - أ -(*)
جامعة وهران 2 محمد بن احمد، الجزائر.
ilyespoli@hotmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/07/06	تاريخ المراجعة:2019/06/11	تاريخ القبول:2019/06/14

ملخص:

يُعد الصـراع الإيـــرانـي – السعــودي أحد أكثر الصـراعات الدولـية القائمة حِدَّة، والذي تم تفسيره على ضوء عدة أسباب ونظريات، وهـذا راجعٌ بشكل أساسي إلى الظاهرة الصـراعية في حد ذاتها بحيث تعتبر حمَّالة أوجُه إذ يُمكن تفسيرها وقراتها من عدة زوايا وأبعـاد من جهة، و إلى تشابك القضايا الخلافية بين طرفي الصـراع من جهة أخرى.

و الحـال، أنَّ الصـراع الإيـــرانـي – السعــودي بلغ ــ منذ بداية عام 2016 ــ مرحلة دراماتيكية من التوتر أدت إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين لثاني مرة في أقل نصف قرن من الزمن مما يطرح العديد من التساؤلات حول سبب هذا الصـراع المستديم بين هذه البلدين.

استنادًا على ما سبق، نسعى ــ في هذه الورقة ــ إلى محاولة الاقتراب من الصـراع الإيـــرانـي – السعــودي بالاعتماد على أحد المداخل الأكثر شيوعًا في تفسير الصـراع الدولي، ونقصد بذلك المدخل الإيديولوجي أي الأفكار والمعتقدات السياسية التي تتبناه دولة ما وتبني عليها سياستها وتوجهاتها مع العالم الخارجي لا سِيَّما أن كل من إيـــران والسعــودية تُمثلان نـظامين سّياسـيين يدعيان أن سّياسـتهما ترتكز على الإسلام والقيّم الاسلامية كإيديولوجية دولـة، مع ذلـك يبقى أنَّ كل واحد منهما ــ أي النـظامين السّياسـيين ــ بحكم الواقع يتبنى تفسيرات متباينة للإسلام (الوّهَابيّة / الشِّيعية).

الكلمات المفتاحية: الصـراع؛ الصـراع الإيـــرانـي – السعــودي ؛ نظريات تفسير الصـراع؛ المدخل الإيديولوجي؛ الوّهَابيّة؛ الخمينية.

Résumé :

Le conflit irano-saoudien, est l'un des évènements les plus marquants, qui se manifeste avec autant d'acuité en raison de certains paramètres et théories, principalement la nature conflictuelle qui porte sur plusieurs aspects multidimensionnels avec lesquels il faut évoquer tous les facteurs possibles sur différentes formes et angles en vue de pouvoir voir plus clair sans oublier les questions en suspens et les litiges qui perdurent entre les parties en conflit.

(*) المؤلف المراسل.

www.manaraa.com

Les rivalités entre les camps ont atteint une étape dramatique à partir de l'an 2016 où on a assisté à une rupture des relations diplomatiques pour la troisième fois dans l'histoire des deux pays.

Dans cet article, nous essayons d'esquisser une approche sur le conflit irano-saoudien en favorisant l'introduction la plus répandue dans le traitement d'un conflit international en évoquant tout d'abord le plan idéologique c'est-à-dire les idées et les croyances politiques que le pays adopte, toutefois, sur la base de ces données toutes les recommandations, orientations seront désormais issues de la politique qui régit les relations internationales, d'autant plus les deux nations représentent deux systèmes politiques qui prétendent que leurs politiques respectives prônent et incarnent les valeurs de la religion musulmane. Alors que l'écart principal entre eux réside clairement dans leurs principes fondamentaux (wahhabite / chiite) ce qui interprète les divergences d'interprétations dans les faits de leurs actions.

Enfin, cette étude est axée sur la question suivante**: le Variable idéologique peut-il jouer un rôle déterminent dans l'apaisement des tensions actuelles entre l'Iran et l'Arabie saoudite?**

Mots-Clés : Le Conflit ; Le Conflit Irano-Saoudien; Théories de L'interprétation des Conflits; Idéologique; Wahhabisme; Khomeynisme.

مقدمة:

يُعد الصـراع من الظواهر الانسانية التي عرفها البشر منذ الأزل، نتيجة لعدة أسباب واعتبارات قد تكون مادية أو نفسية أو فكرية....إلخ. وعلى هـذا، يُمكن التمييز بين نوعين (02) رئيسين من الصـراعات: **صـراع القيم** كالصـراع العِرقي، والديني، والإيديولوجي؛ **وصـراع المصالح** كالصـراعات الحدودية، وصـراعات الهيمنة، والصـراعات الاقتصادية. والحقيقـة، أنَّ العلم الأكاديمي الذي يدرس الظاهرة الصـراعية على عكسها تمامًا إذ هو حديثًا نسبيًا ومتعدد الأقطاب والزوايا ــ من علم الاجتماع إلى الاقتصاد إلى علم النفس ... إلى علم السياسة والعلاقات الدولية ــ، فهو يحتوي على مقاربات نظرية كثيرة ومستويات عديدة ومتباينة للتحليل، إضافة إلى تداخله وترابطه مع مفاهيم أخرى كـ : النزاع (Dispute)، وعدم الاتفاق، والتوتر، والمنافسة، والاختلاف، والأزمة، والحرب. لهـذا السبب، أصبح الصـراع واحدًا من أكثر المفاهيم غموضًا وإثارةً للجدل وعدم التوافق على معناه. هـذا فضلاً عن التفاوت في مستويات الظاهرة الصـراعية من حيث المدى والكثافة والعنف.

ويُعرف الصـراع بشكل عام على أَنَّهُ: "**تنازع الإدارات القومية وهو التنازع الناتج عن الاختلاف في دوافع الدول وفي تصوراتها وأهدافها وتطلعاتها وفي مواردها وإمكاناتها مما يؤدي إلى تعارض الأحداث والمواقف ويؤدي في التحليل الأخير إلى اتخاذ قرارات وانتهاج سّياسات خارجية تختلف أكثر مما تتفق**"[(1)]. أمّا، فيما يتعلق بالنظريات المفسرة للصـراع فهي تتصف بالتنوع والثراء. كـما تتميّز أَنَّها عابرة للتخصصات بحيث أن فروعًا علمية كثير اهتمت به وعالجته سواءً كظاهرة عامة أو بالتركيز على الصـراع الدولي بوجه خاص. ولعل أكثر المداخل التفسيرية للصـراع شهرةً تلك المتعلقة بالصـراع الإيديولوجي بين

[(1)] محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف، تسوية المنازعات الدولية مع دراسة لبعض مشاكلات الشرق الأوسط، القاهرة، 1996، مكتبة غريب للطباعة والنشر، ص 9.

www.manaraa.com

الأطراف الدولية، حيث لقي هذا التفسير لدى العديد من المُفكرين والباحثين لا سِيَّما في منتصف القرن المنصرم أثناء الصراع الكوني بين القُطبين الغربي والشرقي. ويحاول المدخل الإيديولوجي (The Ideological Approach) بشكل عام تفسير أسباب التصادم بين الأمم من خلال إرجاعها لأسباب فِكرية وعقائدية بدرجة أُولى.

والحقيقة، أنَّ هذا التفسير يعود بجذوره الحديثة للنظرية والفِكر الماركسيين المبنيين أساسًا على الصراع الطبقي كحتمية تاريخية، ذلك أنَّ التاريخ البشري ما هو سوى تاريخ للصراع بين الطبقات كما يقول **كارل ماركس (Karl Marx)**. ومع قيام الاتحاد السوفيتي تم إحياء هذه الإيديولوجية القائمة على التصادم، حيث أنَّ التناقضات الإيديولوجية بين القوى الدولية في المجتمع الدولي تُمثل الحقيقة الأساسية التي تنبع منها وتدور في فلكها كافة أشكال الصراعات الدولية المعاصرة. وعلى هذا الأساس، فإنّ حدوث الصراع الدولي ــ طبقًا لهذا المدخل ــ يترتب على التناقض في الرؤى الإيديولوجية والنتائج المرتبطة به التي تجعل من غير الممكن تسوية أو حل هذه الصراعات من خلال عملية المساومة. بل إنّ الأمر يصبح أكثر صُعوبةً عندما يتعلق الموقف بصراعات المصالح المرتبطة بتشعب الاختلافات الأيديولوجية بين طرفي أو أطراف الصراع بحيث يضيف البُعد الإيديولوجي وضعًا خاصًا على الصراع يزيد من تعقيده، فيصعب بالتّالي على طرفيه ــ أو أطرافه ــ التوصل إلى حلول مُرضية لكليهما[1].

وبطبيعة الحال، فإنَّ التفسير الإيديولوجي دونه عدة مشاكل لعل أبرزها الخلل القائم في مفهوم الإيديولوجية في حد ذاتها بحيث تُعد كلمة إيديولوجيا كما يُشير **عبد الله العروي** دخيلة على جميع اللغات الحية وتعني لغويًا في أصلها الفرنسي علم الأفكار، لكنّها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي إذ استعارها الألمان وضمنوها معنى آخر، ثم رجعت إلى الفرنسية فأصبحت دخيلة حتّى على لغتها الأصلية. وعلى هذا الأساس، ليس من الغريب أن يعجز الكُتاب العرب عن ترجمتها أو استيعاب معناها بشكل مُرضي، حيث أن العبارات التي تقابلها على غرار منظومة فكرية، أو عقيدة، أو ذهنية،...إلخ تشير في الحقيقة إلى معنى واحد من بين معانيها [2].

وظهرت كلمة إيديولوجيا (Idéologie) أوّل مرة عام 1796م مع الفيلسوف الفرنسي **أنطوان ديستو دو تراسي (Antoine Destutt de Tracy)** رائد الوضعية ووريث المدرسة الحسّية (Sensualisme) لـ: **إيتين بونوت دي كوندياك (Étienne Bonnot de Condillac)**. وقد كان **دو تراسي** أوّل من صاغ كلمة إيديولوجيا لتسمية عملية تحليل الأفكار بصفتها أشياءً بعيدة عن أيّ مدلول ميتافيزيقي، وكمرادف لعلم طبيعي للأفكار شبيه بعلم النبات وعلم الحيوان الطبيعيّين، بهدف دراسة أصول هذه الأفكار وعلاقتها بطريقة تجريبية ومنطقية. وتتوفر الإيديولوجيا على شُحنة انفعالية كبيرة تقرّبُ الشقة FISSURE بينها وبين العاطفة الدِّينية، وعلى جهاز منطقي عقلي يعطيها مظهرًا علميًا وفلسفيًا إلّا أنَّها في الحقيقة ليست علمًا ولا فلسفةً ولا دِينًا [3]. كما تُحدد الإيديولوجية أو الأدْلوجة

---

[1] محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف، المرجع السابق، ص 12.

[2] عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ط 8، الدار البيضاء، 2012، المركز الثقافي العربيّ، ص 9.

[3] داريوش شايغان، ما الثورة الدِّينية؟ الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة، ترجمة: محمد الرحموني، بيروت، 2004، دار الساقي، جنيف: مع المؤسسة العربيّة للتحديث الفكري، ص ص 217، 225.

www.manaraa.com

أفكار وأعمال الأفراد والجماعات بشكل خفي وغير واعي، ولكي يصل الباحث إلى رسم عالمها لابد له من تحليل وتأويل أعمال أولئك المعاصرين لها [1].

وإذا أسقطنا هذا الكلام على الصراع الإيراني – السعودي أي تفسير الصراع من مُنطلق إيديولوجي بحت، فإنّهُ، يتحتم علينا الرجوع بالذاكرة إلى الوراء قليلًا حتّى يتسنى لنا رصد واستخلاص الإيديولوجية التي قام عليها النظامين السّياسيين السعودي والإيراني؛ لا يتطلب الأمر الكثير من الجُهد والتفكير حتّى يتضح لنا أن كل من الوّهَابيّة - السعودية والاثنا عشريّة - الخُمينية هما الإيديولوجيتين اللتين شكلتا حجر الزاوية في المملكة العربيّة السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية. وعليه، يشكّل كل من مصطلح **السلفية (الوّهَابيّة) والشِّيعية (الخُمينية)** البُعد الإيديولوجي والثقافي الأهم للصراع.

وتُؤكد الحقيقة التاريخية أنَّ الوّهَابيّة - السعودية والخُمينية - الإيرانية لعبتا دورًا مهمًا وأساسيًا في ظهور الدولة (حالة العربيّة السعودية) أو النظام (حالة جمهورية إيران الإسلامية)، فالسعودية ككيان دولاتي كانت نتيجة للتحالف الواقع بين القوة العسكرية والمالية المتمثلة في آل سعود والدعوة الوّهَابيّة، والجمهورية الإسلامية كانت نتيجة لثورة شعبية تزعمها آية الله **روح الله الخميني** (1902 - 1989)، صاحب أهم نظرية سّياسية شِّيعية معاصرة في الحُكم. ومع اختلاف النظامين غير أنَّ الدِّين أو الفِكرة الدِّينية المُسيَّسة أو المذهب يُعتبر أحد أهم دعائم النظام ومرتكزات قوته ومصادر شرعيته واستقراره، إضافة أنَّهُ يشكّل أحد قنوات التثقيف السّياسي وتغذية الصراع الإيراني – السعودي، كما يُعد ووسيلة للنفوذ الخارجي أيضًا.

لهذا السبب من المناسب التعرف على الفِكر الوّهَابيّ والفِكر الاثنا عشري، والأهم من هذا الوقوف على نظرة كل طرف إلى الآخر حتَى نتمكن في النهاية من التحقق من الفرضيات المُطروحة ومن تم الخروج بإجابة عن إشكالية الدراسة، والتي مفادها: **هل يُعد الصراع الإيراني – السعودي صراعًا إيديولوجيًا**؟ أو بمعنى آخر **هل يلعب الإيديولوجية ــ باعتبارها متُغيّرًا مستقلًا ــ دورًا حاسمًا في التوترات الحالية بين إيران والمملكة العربية السعودية (متُغيّرً تابع) أم أنَّها مجرد أداة يتم توظيفها في سياقات معينة؟** وكإجابات مؤقتة على إشكالية الدراسة، قمنا بطرح فرضيتين (02): **الأُولى** تأكيد بالإيجاب على الإشكالية المطروحة أي أنَّ الصراع الإيراني – السعودي هو في حقيقته صراع إيديولوجي. في حين جاءت الفرضية **الثانية** بصيغة النفي أي أن الصراع الإيراني – السعودي لا يُمثل صراعًا إيديولوجيًا حقيقيًا.

انطلاقًا مما سبق، قَسَمْنَا هذا البحث إلى ثلاثة (03) محاور: **الأول** يتضمن لمحة تاريخية عن الوّهَابيّة عبر سرد لمحة عامة عن هذا الفِكر وخصائصه. أمّا، **المحور الثاني** فجاء للحديث عن الشِّيعية بشكل عام، والخمينية بشكل خاص. بينما، ارتئينا في **المحور الأخير**، أن يكون عبارة نظرة كل طرف إلى الآخر (الوّهَابيّ / الاثنا عشري). في حين تضمنت الخاتمة ما خلصنا إليه من استنتاجات ونتائج تتعلق بالدراسة وأهدافها. أمّا، فيما يخص المناهج المستخدمة، فقد اقتصرت على أربعة (04) مناهج أساسية، ويتعلق الأمر بكل من: **المنهج الوصفي؛ المنهج**

[1] عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 11.

www.manaraa.com

الاستقرائي؛ منهج دراسة الحالة؛ والمنهج التاريخي. كما استعملنا كأداة تحليلية بعض أدبيّات نظريات الصراع الدولي والأُطر الفِكرية الماركسية التي تفسر السلوك الدولي، فضلًا عن بعض نظريات علم الاجتماع.

المحور الأوّل: عن الوّهَابيّة

ترتبط الوّهَابيّة (Wahhabism) أو الفِكر الوّهَابيّ ارتباطًا وثيقًا بآل سعود والدولة التي أقاموها في الدرعية (نجد) ابتداءً من عام 1744م ما سُمي آنذاك بـ: **إمارة الدرعية** (1744 – 1818) وإلى غاية الدولة السعودية الثالثة بقية الوّهَابيّة تُشكّل ركنًا جوهريًا تستند عليه الدولة، حيث كانت السلفية كما يحلوا لأنصارها تسميتها بمثابة الإيديولوجية والدعوة (كمفهوم خلدوني) التي استندوا عليها لقيام الدولة السعودية بدعوى محاربة البدع والضلالات وإقامة الإسلام الحق (إسلام السلف الصالح). واستنادًا على هذا المنطق الوّهَابيّ - السعودي أُعتبر كل مخالف لهم مهرطقًا وكافرًا وجب ومحاربته، غير أَنَّهُ كان للشِّيعة والصوفية على وجه التحديد كما توضح كتب التاريخ الحظ الأوفر من هذه الحرب.

استمر التحالف بين الوّهَابيّة وآل سعود حتّى الوقت الحالي مرد ذلك يعود أَنَّ نجاح كليهما كان مرتبطًا بالآخر لا سِيَّما أن دعوة محمد عبد الوهاب كانت دِّينية (عقيدة) خالصةً، حيث ما كان بالإمكان أن تنجح وتهيمن على المنطقة وتقيم إيديولوجية سّياسية وكيانًا سّياسيًا يُمثلانها دون القوة العسكرية والمالية (آل سعود) التي تستند عليها وتستفيد منها في تحقيق أهدافها الدِّينية، ونفس الحال ينطبق على عائلة آل سعود التي مكنتها الوّهَابيّة الثقافية من تجنيد أبناء القبائل دون امتلاكها للعصبية القبيلة.

ويُدرك القارئ لتاريخ الدولة السعودية في أطوارها الثلاثة أَنَّها كانت تقوم بشكل أساسي على الوّهَابيّة أكثر منها على آل سعود، ذلك أَنَّ محمد بن عبد الوهاب كما تُشير المصادر التاريخية كان أقوى شخصيَّة في الدولة والحاكم الفعلي لها وإن لم يدعي ذلك، لا سِيَّما وآل سعود لَمْ يَكُونُوا يستندون إلى عصبية قبيلة أو وعاء قبليّ كبير يحتويهم ويمدهم بالشوكة على حد تعبير ابن خلدون. وعلى ذكر هذا الأخير لا يعتبر التفسير الخلدوني لقيام الدولة أحسن التفاسير في نشأة الدولة السعودية، ذلك أَنَّ التفسير الخلدوني يرفع من شأن القبيلة والعصبية بحيث تكون المبتدأ والمنتهى لأيّ عُمران حضري (Civilisation Sédentaire). في حين لم ترتكز الحالة السعودية على العصبية بشكل أساسي وإنّما ارتكزت على الدعوة التي وحدت من خلالها القبائل البدوية التواقة للغزو في حالة تشبه في بعض جوانبها قيام الدولة الإسلامية التي ارتكزت على الدعوة النَّبوية وليس على العصبية القبليّة والعشائرية.

وبالعودة للدعوة الوّهَابيّة فقد جاءت من الناحية الفِكرية بالمنهج السلفي حسب اعتقاد المؤمنين بها، بهدف ما تعتبره تنقية لعقائد المسلمين والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام وترى فيها الوّهَابيّة مخالفةً لجوهر الإسلام التوحيدي مثل: التوسل، والتبرك بالقبور وبالأوّلياء، والبدع بكافة أشكالها. ويصفها أتباعها بأَنَّها دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرجوع إلى الإسلام الصافي وطريقة السلف الصالح في إتباع القرآن والسُّنّة. فالوّهَابيّون يعتقدون أَنَّهم حملة لواء الإسلام الحق الخالي من الشوائب والبدع الذي يجب على سائر المسلمين إتباعه. ويعتبر هذا التصور نقطة جوهرية لديهم تجعلهم يجدون تبريرات لكل سلوكياتهم وأفعالهم.

www.manaraa.com

غير أنَّ المفارقة تكمن أنَّهم يتقاطعون في هذه النقطة بالتحديد مع الشِّيعية، ذلك أنَّ السلفية الشِّيعية لا تختلف في إطارها المرجعي العام عن السلفية السُّنّية (الوَهَابيّة)، فكلهما تعلن التزام الكتاب والسُّنّة لكنّ مع انضغاط قائمة السلف لدى السلفية الشِّيعية واقتصارها على أئمة آل البيت [1]. هذه المُزايدة على الإسلام من الطرفين جعلت الصراع ينتقل من اختلاف مذهبي وفقهي قديم إلى صراع إيديولوجي - سّياسي على من يتزعم العالم الإسلامي بمعنى أيّهما يُجسد الأُنموذج الحقيقي والحصري للإسلام والدولة الإسلامية. دفع هذا إيران أن ترى في السعودية منافسًا إيديولوجيًا لها ونفس الحالة تنطبق على السعودية مما يعني أنَّ الصراع الإيديولوجي بين الوَهَابيّة والخُمينية خرج عن نطاقه الدِّيني والثقافي ليمتد إلى عالم السّياسة والرغبة في الهيمنة على الإسلام، لا سِيَّما النظامين السعودي والإيراني يشتركّان في نقطة الادعاء بإسلامية نظامهما.

أمّا أصول الفِكر الوَهَابيّ، فقد اعتمد بشكل أساسي على أفكار مُؤسسه **محمد بن عبد الوهاب** (1703م - 1791م)، ــ وهو عالم دِّين سُنّي (حنبلي) ــ من قبيلة بني تميم في منطقة نجد البدوية وبالتحديد في العيينة من وادي حنيفة وسط نجد ــ والقائد الدِّيني واللاهوتي الأوّل للدولة السعودية الأُولى، اشتهر بدعواته إلى رد الإسلام إلى شكله الأصلي مع التركيز على التوحيد والعقيدة. ومن أشهر مؤلفاته: **كتاب التوحيد، كتاب الأصول الثلاثة، أصول الإيمان، الرد على الرافضة**، ... وغيرها. وقد التقى محمد بن عبد الوهاب بعد خروجه ــ أو بالأصح طرده من طرف حليفه الأوّل عثمان بن معمر ــ من بلدته العيينة بأمير الدرعية محمد بن سعود آل مقرن واتفق الرجلان على إقامة الدولة الوَهَابيّة - السعودية عام 1744. وفي ذاك اليوم ــ كما يقول **أمين الريحاني** ــ عُقد العهد بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير أي بين المذهب والسيف [2]. ويُؤكد المستشرق الفرنسي **لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسي (Louis Alexander Olivier De Corancez)** أنَّ التحالف الذي كان بين الرجلين يُعد من الأسباب الرئيسية لانتشار المذهب الوَهَابيّ في كامل الجزيرة العربيّة، حيث زاد الحركة قوةً جعلتها تخرج من مهدها في أرض نجد وتؤسس لشعب وهوية جديدة تحت اسم الوَهَابيّين [3].

وترتكز الوَهَابيّة بشكل كبير وعلى إحياء فِكر **تقي الدّين ابن تيمية** (661 هـ -728هـ/1263م - 1328م) وتلميذه **ابن قيم الجوزية** (691هـ - 751هـ/1292م - 1350م)، لا سِيَّما في مجال العقيدة. أين تُعد كُتب ابن تيمية مرجعًا لا غنى عنها. ومن أهم المصادر التي يبني عليها الوَهَابيّون فكرهم والتي تتصدر المكتبات الإلكترونية الوَهَابيّة نجد: **منهاج السُّنّة النَّبوية في الرد على الشِّيعة والقدرية (09 مجلدات)** لـ: ابن تيمية؛ **درء تعارض العقل والنقل** لـ: ابن تيمية؛ **مجموع الفتاوى** لـ: ابن تيمية، **طريق الهجرتين** لـ: ابن قيم الجوزية؛ **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد** لـ: محمد بن عبد الوهاب؛ أمّا في مجال الفقه فقد اتبعت الوَهَابيّة مذهب الإمام **أحمد بن حنبل**.

ومن الناحية التاريخية كان أتباع هذه المدرسة السابقون يطلقون على أنفسهم اسم "**الموحدون**" أو "**المسلمون**" في مقابل المشركين، حيث أنَّ جل كتاباتهم التاريخية تستعمل هذا الاسم، أمّا خُصومهم فكانوا يُطلقون عليهم اسم

---

[1] عبد الله البريدي، السلفية الشِّيعية والسُّنّية بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، بيروت، 2013، الشركة العربيّة للأبحاث والنشر، ص ص 36 - 37.

[2] أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط 1، بيروت، 1928، المطبعة العلمية ليوسف، ص 30.

[3] لويس دو كورانسي، الوَهَابيّون تاريخ ما أهمله التاريخ، ترجمة: مجموعه من الباحثين، لندن، 2003، رياض الريس للكتب والنشر، ص 18.

www.manaraa.com

"**الخوارج**". في حين أنَّ أتباع هذه المدرسة الحاليون يُفضلون استخدام اسم "**السلفية**" و"**السلفيون**". وقد شاع أيضًا استخدام اسم "**الوَهَابيّون**" من الطرفين كاسم علَم عليهم من باب أنَّهم يُشكّلون تيارًا فكريًا مُميّزًا له تاريخه وخصائصه ومصنفاته وشيوخه، وهو يختلف عن التيار العام للسلفية في كثير من الأمور [1]. بينما يرفض الوَهَابيّون اسم وَهَابيّة ويفضلون سلفية عليه، وهم يبررون هذا الأمر من خلال الاستناد إلى عدة نقاط: أوّلها أنَّ الوهاب اسم من أسماء الله الحسنى لا ينبغي أن يُنسب لغير الله. كما أنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يبتدع مذهبًا جديدًا، ناهيك أنَّ مُسمى الوَهَابيّة يعود بالأساس إلى الحركة الخارجية الوَهَابيّة الإباضية التي تأسست في القرن الثاني الهجري في بلاد المغرب (وبالتحديد في مدينة تيارت الجزائرية) على يد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، كما أنَّ هذا المُسمى منسوب لأب محمد بن عبد الوهاب، والأحرى أن تُسمى الحركة باسمه أي **المُحمدية** نسبة إليه لا لأبيه.

ويرى الباحث **رياض الصيداوي** أنَّ الحديث عن الوَهَابيّة بشكل عام فقط يُعد خطأً علميًا والتسمية الأدق هي: " **الوَهَابيّة - السعودية**"، وهي بذلك تعني التحالف التاريخي بين السلطة السّياسية المالية ممثلة في محمد ابن سعود والسلطة الدِّينية ممثلة في ابن عبد الوهاب، وبالتقائهما تشكّل هذا المذهب على أرض الواقع [2]. ويُمكن تعريف الوَهَابيّة - السعودية، أنَّها: **"حركة سّياسية دِينية سُنّية حنبلية تأسست في القرن الثامن عشر من قبل محمد بن عبد الوهاب ووفقًا لرؤية متزمتة ومتصلبة وطهرانية (Puritanism) تدعو إلى رد الإسلام لشكله الأصلي الأرثوذكسي الذي يستند على النص القرآني والحديث والتفسير الحرفي والمحافظ لهما"**. أمّا، **جون لويس بوركهارت (John Lewis Burckhard)** فيعتقد أن مذهب الوَهَابيّين وعقيدتهم تحاول العودة إلى أصول الإسلام وتنصيب القائد الدِّيني والسّياسي للأمّة الذي يمارس سلطاته مثلما كان خلفاء الرسول (ﷺ) يُمارسون سلطتهم على أبناء البلاد التي دخلت الإسلام [3].

ويعتقد الوَهَابيّون أنَّهم المُجسد الحقيقي والوحيد والصورة الأنقى لأهل السُّنّة والجماعة أو ما يمكن أن نسميه بـ: **الفرقة الناجية**. ومما يُميّز السلفية - الوَهَابيّة أنَّها فتحت الباب واسعًا أمام ضوابط شديدة الصرامة بحيث أنَّ تركيزها على الجانب المُعتقدي التوحيدي (**العقيدة الواسطية**) قسم العالم عندهم بشكل ثنائي متضاد: عالم مشرك كافر وآخر مسلم صحيح الإيمان يُمثله أهل التوحيد [4]. هذه النظرة الرجعية المنغلقة جعلت الفِكر الوَهَابيّ والمملكة السعودية يتعرضان في السنوات الأخيرة إلى الكثير من الانتقادات وهجمة شرسة من طرف الإعلام الغربي والأمريكي بالتحديد، خصوصًا بعد أحداث 11 سبتمبر باعتبار الفِكر الوَهَابيّ يشكّل نواة وآلية لتفريخ التطرف والإرهاب إلى درجة أصبح فيه كلمة وَهَابيّة أقرب إلى المحرمات السّياسية في العقود الأخيرة [5].

---

[1] أحمد الكاتب، الفكر السّياسي الوَهَابيّ قراءة تحليلية، ط 3، القاهرة، 2008، مكتبة مدبولي، ص 10.

[2] رياض الصيداوي، "الوَهَابيّة السعودية أخطر الحركات الدِّينية"، الحوار المتمدن، العدد: 3020، 31 مايو 2015، شوهد في 01 فبراير 2018، في: <http://bit.ly/2uqxQn4>

[3] جون لويس بوركهارت، ملاحظات عن البدو والوَهَابيّين، ترجمة: صبري محمد حسن، ج 2، القاهرة، 2007، المركز القومي للترجمة، ص 61.

[4] جمال سند السويدي، السراب، أبو ظبي، 2015، [د. ن.]، ص 400.

[5] ستيفن لاكروا، "السّياسة بين الإسلاميين والليبراليين في المملكة العربيّة السعودية"، ضمن: بول ارتس وغريد نونمان (تحرير)، المملكة العربيّة السعودية في الميزان الاقتصاد السّياسي والمجتمع والشؤون الخارجية، ط 2،بيروت، 2013، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ص 59.

www.manaraa.com

يعـود السبب في ذلك لما يحمله المذهب من محافظة وجمود إلى درجة التطرف جعل منه من أكثر الاتجاهات الدِّينية الإسلامية محافظةً، فهو كما يقول: **وليـد عبـد الحي**: "**حركة سُنّية تدثرت (تغطت) بالمذهب الحنبلي الأكثر محافظاً من بين المذاهب السُّنّية الأربعة، واتكأت على تراث بن تيمية الأكثر محافظةً في الحنبلية، وجاءت الوهابية لتكون امتدادًا لهذا كله بل وأكثر**". فالتراث المحافظ للوّهَابيّة من جهة والبيئة النجدية القاسية صنـعا من الوّهَابيّة حركةً متطرفةً جدًا ضدَّ خصومها السّياسـيين والدِّينيين ومخاليفها، سِمتها الأساسية العنف المبالغ فيه، ويُؤكـد هذا الكلام المصادر وكُتب التاريخ بما فيها المصادر الوّهَابيّة التي تناولت هذه الفترة [1]، أمثال: **بن غنـام** في كتابه: **تاريخ نـجد**، **وبـن بشـر** في كتابه: **المجـد في تاريخ نـجد**، حيث وصف **الحسين بن غنـام** حال المسلمين في شبه الجزيرة العربـيّة قبل قيام الدعوة الوّهَابيّة بقوله: "**[...] كان أكثر المسلمين في مطلع القرن الثـانـي عشر الهجري قد ارتكسوا في الشرك وارتدوا إلى الجاهلية[...]** ". أمّـا، علاقة الوّهَابيّة بالشِّيعة وهو الأمر الذي يهمنا أكثر، فيتضح من خلال وصف **بن غنـام** دخول الوّهَابيّين الأحساء، إذ قال: "**[...]، ثم غزا المسلمون (الوّهَابيّون) وأميرهم عبد العزيز الأحساء وكان خيلهم نحو ثلاثين، فأناخ في مكان يسمى المطيرفي وهجم على من كان فيه من المشركين (الشيعة)، فقتل منهم سبعين رجلًا وأخذ المسلمون كثيرًا من الأسلحة والأمتعة والدواب**" [2].

ويُؤكـد **بـن بشـر** هو الآخر نفس الكلام تقريبًا بل يزيد عليه في وصف دخول قوات آل سعود إلى مدينة البصرة العـراقية فيقول: "**[...] ثم سار منها إلى البصرة ونزل عندها وسار المسلمون إلى جنوبها فنهبوا فيه وقتلوا قتلاً[...]**" [3]. كـما وصف **محمد جـواد مغـنية**، في كتابه: **هذه هي الوّهَابيّة**، دخول الوّهَابيّين إلى كربلاء، فقال: "**[...] وكذلك غزا عبد العزيز كربلاء بجيشه الذي قاده ولده سعود، وهدم قبر الحسين، ونهب جميع ما فيه من الذخائر، وأعمل السيف بالكربلائيين رجالهم ونساءهم وأطفالهم وكان ذلك سنة 1216هـ[...]، وقتل عبد العزيز سنة 1218 اغتاله رجل من الشِّيعة انتقامًا منه لما فعله بضريح الحسين في كربلاء[...]**" [4]. كـما أنَّ القـارئ للكتابـات المنجزة حول الوّهَابيّة سواءً السُّنّية أو الشِّيعية يلاحظ أنَّ الكثير منها يتفق حول الطابع العنيف والتكفيري لها. ولعل من المناسب هنا أن نستعرض بعض من كتبوا عن الوّهَابيّة باعتبارها حركة دِّينية، فمن الذين عاصروا الدعوة الوّهَابيّة نجد: **أحمـد بن زينى دحـلان**، الذي كان مفتي مكة على المذهب الشـافعي ومعاصرًا للدعوة الوّهَابيّة الأُولـى، إذ وصف سلوك أتباع الوّهَابيّة فقال: "**[...] صاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال[...]**" [5]. ناهيك أنَّ أخ محمد بن عبد الوهاب ويُدعى سليمان لم يكن راضيًا على أفكار أخيه، فكتب رسالة مطولة أسمها: **الصواعق الإلهية في الرد على الوّهَابيّة** ينصح فيها أخاه ويرد فيها على أفكاره التي رأى فيها تطرفًا وغلوًا كبيرين.

وواقـع الحـال، أنَّنا نجد أغلب علماء الدِّين المعاصرين يُؤكدون على الطابع العدواني للوّهَابيّة، فنجد مثلًا: **محمـد سعـيد رمضـان البـوطي** يرى أنَّ وصف الوّهَابيّة بالسلفية لا يصح، إذ أنَّ معنى السلف في الاصطلاح يعني أفضل

---

[1] وليد عبد الحي، "الجيو وهابية"، شوهد في 01 فبراير 2018، في: <http://bit.ly/2zztgbT>

[2] الحسين بن غنام، تاريخ نجد، تحرير وتحقيق: ناصر الدِّين الأسد، ط 4، بيروت، 1994، دار الشروق، ص ص 13، 122.

[3] عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ج 1، ط 4، الرياض، 1982، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ص ص 90، 296.

[4] محمد جواد مغنيّة، هذه هي الوّهَابيّة، [د. م: د. ن.، د. ت.] ، ص ص 141 - 142.

[5] أحمد بن زينى دحلان، فتنة الوّهَابيّة، إستانبول، 1978، مكتبة أشيق كتاب أوى، ص 5.

www.manaraa.com

العصور الإسلامية وأولاها بالاقتداء والإتباع، وهي القرون الثلاثة الأُولى من عُمر الأمّة الإسلامية. أمّا، مُصطلح السلفية (الوّهَابيّة) فهو مصطلح طارئ على تاريخ الشريعة الإسلامية والفِكر الإسلامي [1] لا يمت له بأيّة صلة من قريب أو من بعيد. في حين يُشير المُفكر الإسلامي المصري **محمد عمارة** إلى أَنَّ الوّهَابيّة تتميّز عن غيرها من التيارات الإسلامية بفِكرها المُحافظ البسيط وأفاقها المحدودة وأساليبها البدوية العنيفة ما جعلها تنحصر في أعراب الجزيرة وحدهم دون سواهم [2]. وحتّى مركز البحث الغربية، وإن كان لكل واحد منها تعريف خاص للوّهَابيّة غير أَنَّها أجمعت كلها ــ وإنّ اختلفت تعاريفها ــ أَنَّ الوّهَابيّة تتضمن صفات كالتشدّد، التزمت، الراديكالية، العُنف، الأصولية، والتكفير [3].

ويُعتبر الوّهَابيّون في المملكة العربيّة السعودية بحُكم دورهم في تأسيس الدولة والنظام المُسيطرين على المشهد الدِّيني، بَيْدَ أَنَّهم لا يُشكّلون أكثرية عددية في المملكة ــ كما يعتقد البعض ــ بل هم مجرد أقليّة مسيطرة يقدر عددهم بحوالي 04 مليون أي حوالي 22% من عدد السكان، يستقر أغلبهم في منطقة نجد [4]. ويُؤكد كل من **بول ارتس (Paul Aarts)** و**كارولين رولانتس (Carolien Roelants)** هذا الأمر، إذ يعتبران أَنَّهُ رغم النفوذ الذي تتمتع به هذه الحركة (الوّهَابيّة) يشكّل الوّهَابيّون أقليّة بين المسلمين السُّنّة في العربيّة السعودية [5].

والحقيقة، أَنَّ النفوذ الوّهَابيّ داخل المملكة وخارجها قد تكرس أكثر بفضل العوائد النِّفطية بحيث كانت لهذه الأخيرة دورٌ كبير في تعزيزه وتمدده، ذلك أَنَّ التمويل الناتج عن الصادرات البترولية سمح للوّهَابيّين أن يُحققوا نموًا هائلًا وانتشارًا كبيرًا مع سبعينيات القرن الماضي سواءً داخليًا أو خارج الحدود من خلال الأنشطة والمؤلفات أو من خلال المؤسسات الوّهَابيّة - السعودية الخيرية وغير الربحية المنتشرة في كافة أنحاء العالم [6]. حيث بدأت الجمعيات الخيرية السعودية بتمويل المدارس الوّهَابيّة والمساجد في جميع أنحاء العالم، وعرفت الحركة على هذا انتشارًا في كافة أقطار العالم، فضلًا عن القدرة على **الفعل التاريخي** الذي تميّزت به الوّهَابيّة بحيث استطاعت تأسيس نفسها في نسخة أكثر تطورًا يمكن أن نسيميها بـ: **النيو - وّهَابيّة** على حد وصف **جورج طرابيشي** لها في كتابه: **هرطقات 2 عن العلمانية كإشكالية إسلامية - إسلامية**.

وعلى هذا الأساس، يرى الكثير من الباحثين أَنَّ الدولة السعودية تأسست بهوية خاصة وبفئة معينة(وّهَابيّة) عُممت على جميع المكونات، وهي لا تُمثل تاريخًا مشتركًا أو ثقافيًا للهويات الأخرى [7].حيث تُشكّل السعودية حالة استثنائية، إذ تُعتبر النظام الملكي الخليجي الوحيد الذي تستند فيه هوية الدولة إلى قراءة محددة للمعتقدات

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية: مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دمشق، 1988، دار الفكر، ص 9.

[2] محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ط 2، القاهرة، 1997، دار الشروق، ص 258.

[3] تامر طه بكر، السلفية بعيون غربية، الرياض، 2015، مركز البيان للبحوث والدراسات، ص 48.

[4] Mehrdad Izady,"Demography of Religion in the Gulf", 2013, accessed on 13/10/2017, at: <http://bit.ly/2JlnaLW>

[5] بول ارتس وكارولين رولانتس، المرجع السابق، ص 14.

[6] محمد حسن دخيل، أنظمة الحكم في الوطن العربيّ دراسة مقارنة، بيروت، 2014، دار مكتبة البصائر، ص 157.

[7] بدر الإبراهيم ومحمد الصادق، الحراك الشّيعي في السعودية: تسيّس المذهب ومذهبة السّياسة، بيروت، 2013، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، ص 13.

www.manaraa.com

الدِّينية السُّنّية (الوَهَابيّة)، وأدى ذلك في النهاية إلى سّياسة تميّز طائِفي واسعة النطاق مدعومة من قبل الدولة [1]. والواقع، أنَّ هذا الأمر يُشكّل للنظام السعودي العديد من المشاكل بسبب أنَّ خصائص الوَهَابيّة والإرث الفِكري لها صنعت منها هوية طاردة لا هوية جامعة. على الرغم أنَّ العلاقة بين النظام والإيديولوجية الوَهَابيّة قد مسها الكثير التغيُّر مع مرور الزمن وفقد العلماء الوَهَابيّين الموقع المُسيطر الذي كان يتمتعون به أيام مؤسس المذهب، إلى درجة أن ذهب بعض القُراء لتاريخ الوَهَابيّة أن بن عبد الوهاب كان يُسيطر على عملية صُنْع القرار السّياسي حتّى وفاته وليس أمير الدرعية محمد بن سعود. وقد استمر هذا النمط من التسيير إلى غاية عام 1892، أين بدأ الحكام من آل سعود يسيطرون على المجال السّياسي بشكل مطلق، بينما ظل العلماء وأهمهم المتحدرون من نسل محمد بن عبد الوهاب (آل الشيخ) يُشكّلون جماعات ضغط تسيطر على قطاعات الدِّين (المؤسسة الدِّينية الرسمية) والتربية والإدارة والقضاء. وبهذا، سار العلماء الوَهَابيّون الشريك الأصغر في التكتل ولم يُعد بمقدورهم تطبيق العقيدة الوَهَابيّة الصارمة خاصة في السّياسة الخارجية [2].

يُعد عام 1979 تاريخ انتصار الثورة الإسلامية الذي سوف لن تغيّر إيران فقط وإنّما سوف تبعث الوَهَابيّة من جديد، فخوف حكام آل سعود من الثورة الجمهورية التي تُهدد المنطقة دفعهم إلى إطلاق يد العلماء الوَهَابيّين من جديد بقيادة **عبد العزيز بن باز** (1910 - 1999)، بغرض تعزيز شرعيتهم السّياسية والدِّينية. ضف إلى ذلك أحداث الحرم من نفس السنة، حين هاجم **جُهيمان العتيبي** (1936 - 1980) ورفاقه الحرم المكي (1979) واستولوا عليه مطالبين بإسقاط النظام (الكافر)، على إثر هذا قررت الحكومة السعودية توطيد سلطات المؤسسة الدِّينية الوَهَابيّة أكثر درءًا للفتنة ولأيّ خطر من هذا النوع في المستقبل. مع ذلك، من الصّعب تحديد الدور الدقيق الذي تلعبه الوَهَابيّة في قرار السّياسة الخارجية السعودية، ولكنّها بالتأكيد تُعد قوة دافعة ورئيسية لها. ويظهر هذا الأمر بشكل واضح في المواقف والفتاوى التي تصدره المؤسسة الدِّينية الرسمية في السعودية والتي تعبر بلا شك عن رؤية المملكة وموقفها، كتلك الفتوى المتعلقة بالشِّيعة أو صدام حسين أو الربيع العربيّ أو المتعلقة بفلسطين والمقاومة ضدَّ الكيان الصهيوني، وفي الآونة الأخيرة كان موقف الوَهَابيّة من الأزمة مع قطر يدل بما لا يدع مجالًا للشك أنَّها تلعب دورًا هي الأخرى في دعم التوجهات السّياسية للمملكة.

المحور الثاني: عن الاثنا عشريّة (الخُمينية)

على عكس السعودية يلعب المُتغيّر الأيديولوجي دورًا أكثر وضوحًا في عملية صُنْع القرار في الجمهورية الإيرانية. يبدو هذا منطقيًا بحكم طبيعة زعيم الثورة ونظامها السّياسي، فالمذهب الشِّيعي الاثنا عشري وما طرأ عليه من تجديد بفضل روح الله الخميني يُعد محددًا أساسيًا من محددات السّياستين الداخلية والخارجية الإيرانيتين. خاصة في العقد الأوّل من عمرها.

---

[1] لورنس لوير،"الدولة والهويات الطائِفية في منطقة الخليج: البحرين والمملكة العربيّة السعودية والكويت في منظور مقارن"، ضمن: مجموعة باحثين، السّياسة الطائِفية في منطقة الخليج، تقرير موجز رقم 7، الدوحة، 2015، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، ص 9.

[2] غيدو شتاينبرغ، "علماء الدِّين الوَهَابيّون والدول السعودية (من عام 1754 إلى يومنا هذا)"، ضمن: بول ارتس وغريد نونمان (تحرير)، المملكة العربيّة السعودية في الميزان الاقتصاد السّياسي والمجتمع والشؤون الخارجية، ط 2، بيروت، 2013، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ص ص 34 - 35.

www.manaraa.com

وتُعتبر مقولة الخميني "إنّنا نواجه الدنيا مواجهة عقائدية" أحسن تعبير عن رؤيته لمكانة الإيديولوجية الشّيعية في سّياسة إيـــران، علاوة على ذلك، فإنّ المادة الخامسة (05) من الدستور الإيرانـي تؤكد أن الفقيه الشّيعي يُعد أحق الناس بولاية الأمر وإمامة الأمّة الإيرانـية في زمن غيبة الإمام. كما تتضح أهمية الدّين والإيديولوجية للهوية السّياسية لإيـــران من خلال تصنيفها الذاتي كجمهورية إسلامية أين سبقت في اسمها الرسمي صفة الإسلامية على القومية الإيرانـية (الجمهورية الإسلامية الإيرانـية)، وهذا التسبيق لإسلامية النـظام نجده في أغلب المؤسسات الرسمية الإيرانـية، ناهيك عن الشروط اللازمة لتولي المناصب الرسمية، والتي هي شروط إيديولوجية بالأساس من خلال الإيمان بمبادئ جمهورية إيـــران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد؛ أي أنَّ الاثنا عشريّة كمذهب غير كَافٍ ما لم يقترن بالإيمان بولاية الفقيه المطلقة كما جاء بها الخميني (نهج الإمام). ويتضح هذا الأمر كذلك من خلال تغيير رمز العلم الوطني الإيرانـي بعد الثورة. أين أمر الخميني باستبدال الأسد الشمسي والذي يُعد رمز الزرادشتية باسم الجلالة "الله".

تاريخيًا، كانت الشّيعية (Shiism) نزعةً سّياسية أكثر منها عقيدةً دّينية تتمحور أساسًا حول مسألة الخلافة أوالإمامة وأحقية طرف على غيره، حيث تعود الجذور الأُولى للتشّيُّع لأوّل تصادم سّياسي وقع بعد وفاة النَّبي محمد (ﷺ) في عام 11 للهجرة (632 م)، أين دب الخلاف بين المسلمين على من يخلفه. فكان صراعٌ بين المهاجرين والأنصار (سقيفة بني ساعدة) ثم بين المهاجرين (قريش) فيما بينهم، حيث ذهب بعض المسلمين أنَّهُ ينبغي اختيار خليفته عن طريق الشورى؛ فيما أراد آخرون إسناد الحُكم لأقارب الرسول (ﷺ) والذي سيعرفون فيما بعد بـ: **آل البيت**. واستطاع المسلمون الأوائل تجاوز هذه المحنة لبضع سنين أين حكم كل من: **أبو بكر الصديق** (رضي الله عنه) (11هـ - 13هـ)، **عمر بن الخطاب** (رضي الله عنه) (13هـ -23هـ)، **عثمان بن عفان** (رضي الله عنه) (23هـ - 35هـ)، وأخيرًا **علي بن أبي طالب**(رضي الله عنه) (35هـ - 40 هـ) وهو بن عم النَّبي (ﷺ) وصهره، ومع الإمام علي (رضي الله عنه) ومن جاء بعده من نسله بدأ التاريخ الحقيقي للشّيعة في التبلور. أين كان صـراع الإمام علي (رضي الله عنه) مع معاوية بن أبي سفيان، ومع بعض كبار الصحابة ــ وهم: طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه)، والزبير بن العوام (رضي الله عنه)، وأم المؤمنين عائشة في وقعة الجمل ــ فيما عرف بـ: **الفتنة الكبرى** ذو أثر كبير في تشكّل الشخصيَّة الشّيعية.

والحقيقة، أنَّ الخلافات بين الإمام علي وشّيعته من جهة، وخصومه من جهة أخرى آنذاك كانت سّياسية خالصة، وحتّى التمردات أو الثورات التي قادها بعض أبناء وأحفاد الإمام علي كانت كلها لأسباب تتعلق بالحُكم وأحقية آل البيت فيه، غير أنَّ هذه النّزعة السّياسية ما لبثت أن انقلبت بمرور الزمن إلى عقيدة دّينية ومذهبية، خصوصًا بعد واقعة كربلاء (61 هـ - 680م)، أين قتل الحسين بن علي على يد القوات الأموية. وبعدها كان لامتزاج الشّيعية مع الثقافة الفارسـية وأقوال الفرق الكلامية والصوفية دورٌ أساسي في تشكّل هذا المذهب. كما أنَّ الفِكر الشّيعي تعرض لتحولات وانقسامات كثيرة وأحيانًا جذرية بحيث لم يبقى في بعض الحالات إلّا التسمية التي تجمع فرق الشّيعة، لذا يجب على الباحث أو القارئ أن يكون مدركًا لهذه الأمور حتّى يضعها في نصابها.

تاريخيًا أيضًا، لم تتحول إيـــران لدولة شّيعية إلّا في القرن السادس عشرة، وفي إطار صـراع سّياسي طويل بين الدولة الصفوية (1501م – 1736) والإمبراطورية العثمانية (1299م – 1923م)، أين قام الصفويون بنشر المذهب

www.manaraa.com

الشّيعي الجعفري وفرضه على الناس، ويُعتبر الصفويون في الأصل سُلالة تُركية لا فارسية، ولأنّ إيران أو بلاد فارس كما كانت تُسمى في تلك الحقبة لم يكن فيها عدد كافي من علماء الدّين الشّيعة، فإنّها لجأت إلى استيراد مجموعة من علماء الدّين الشّيعة العرب من لبنان، وبالتحديد من جبل عامِل معقل الفكر الشّيعي الجعفري من أجل إرساء دعائم هذا المذهب الجديد، إضافة إلى بعض علماء الدّين الشّيعة من البحرين.

ولا يستطيع أحد أن يُنكر أثر الحكم الصفوي لإيران سواءً سلبًا أو ايجابًا على الشّيعية، فالصفويين هم أوّل من جعل الشّيعية الاثني عشريّة مذهبًا رسميًا للدولة وأغلبية ديمغرافية واستمر هذا الأمر حتّى الوقت الحالي. كما تعتبر إيران الدولة الوحيدة التي استقر فيها التشّيُّع كمذهب رسمي ــ رغم بعض محاولات بعض الشاهات اللاحقين على غرار نادر شاه (تركي الأصل) مُؤسس الدولة الأفشارية (1736 – 1796) إحياء مذهب السُّنّة ــ على الرغم من أنَّ الدولة الصفوية ليست أوّل دولة أقامها حكام ينتمون للمذهب الشّيعي، فقد سبقهم الفاطميون (الدولة العبيدية) والحمدانيون، والبويهيون،... وغيرهم، إلّا أنَّهم لم يتركون أثرًا بعدهم بحيث اختفت الشّيعية مع زوال دولهم ولم يبقى لها أثر في المجتمع الذي حافظ على سُنّيته عمومًا. ورغم هذا، التأثير من لَدُنْ العجم على التشّيُّع والشّيعة غير أنّهما حافظا عمومًا على أصالتهما العربيّة، إذ تعتبر الشّيعية في الحقيقة مذهبًا عربيًا من حيث النشأة والتطور والفِكر، وحتّى في إيران فإنّ ترسيخ هذا المذهب وتطويره كان على يد علماء الدّين الشّيعة العرب وليس الفرس، كما أنَّ أهم مدينة لتكوين المُلاّلي الشّيعة وهي قُمّ يعود الفضل للعرب في قيامها [1].

ويُعتبر المذاهب الشّيعي من أقدم المذاهب الإسلامية، بَيْدَ أنَّ الحديث عن التشّيُّع كفكرة وعقيدة ليس بالأمر السهل تحديدًا عندما يختلط الدّين والاعتقاد بالسّياسة (التحول من حركة سّياسية إلى فرقة دّينية) ما يجعل من الصعب التفريق بينهما والخروج بموقف واضح غير مُتحيز (مع / ضدَّ)، لا سِيَّما أن المسائل السّياسية غالبًا ما يتم إعطائها صبغة دّينية لدى الجماعات التي بنت أساسها على أسس دّينية خالصة، على غرار الشّيعة الذين يستندون في نظريتهم إلى أحاديث نبوية تعبر عن حقهم في الحكم من خلال النص السماوي طبقًا لأمر من النَّبي محمد (ﷺ) في بعض الأحاديث مثل: **حديث المنزلة** [*]، **وحديث الغدير** [**]، **وحديث الخلفاء القرشيين الاثنا عشر** [***]. ناهيك أنّنا نصطدم مع كتابات كثيرة حولهم إلّا أنَّ أغلبها كتبها خصومهم السّياسيين منذ الأمويين إلى غاية الوّهَابيّين. فقد

---

[1] روي متحدة، بردة النَّبي الدّين والسّياسة في إيران، ترجمة: رضوان السيد، المشروع القومي للترجمة العدد 481، القاهرة، 2003، المجلس الأعلى للثقافة، ص 21.

[*] حديث المنزلة عبارة عن حديث نبوي يستند عليه الشّيعة مع مجموعة من الأحاديث الأخرى فيما يعتبرونه أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة بعد وفاة الرسول محمد (ﷺ) وينص الحديث على "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" وحسب المصادر الشّيعية، فإنّ الرسول (ﷺ) أدلى بهذا الحديث في يوم المؤاخاة ويوم بدر ويوم فتح خيبر وغزوة تبوك ويوم غدير خم وحجة الوداع. ذكر الحديث البخاري والتبريزي في كتابه: مشكاة المصابيح، والشافعي في كتابه: أسنى المطالب، والسيوطي في كتابه: قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة.

[**] حديث الغدير هو حديث صحيح يصل لدرجة التواتر عند السُّنّة والشّيعة، مروي عن النَّبي محمد (ﷺ) في يوم 18 من ذي الحجة سنة 10 هـ، في طريق عودته بعد حجة الوداع في غدير يُدعى خُم قُرب الجحفة، وفي نص الحديث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: "إنّ الله مولاي وأنا ولي كلّ مؤمن ومؤمنة. وأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال: ألستُ أولَى بالمؤمنينَ من أنفسِهم وأزواجِي أمهاتُهم فقلنَا: بلَى يا رسولَ اللهِ قال: فمَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاهُ اللهمَّ والِ من والاه وعادِ مَن عادَاهُ".

[***] روي عن جابر بن سمرة في صحيح البخاري: حديث الاثني عشر خليفة: "سمعت النَّبي (ﷺ) يقول يكون اثنا عشر أميرا فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي إنه قال كلهم من قريش".

www.manaraa.com

استعمل الأمويين (بني أمية) الكثير من المغالطات (الدعاية المغرضة) من أجل التشويش على خصومهم (آل البيت بصفة خاصة)، وقد ذهب البعض أَنَّهُ كان لهم يد حتّى في وضع بعض الأحاديث المنسوبة للنَّبي (الأحاديث الموضوعة)، وقد سلك بنو العباس بعد وصولهم إلى الحكم نفس المنهج تجاه خصومهم الأمويين (السّب على المنابر مثلًا) والشِّيعة كذلك. رغم أن العباسيين ــ هم أيضًا من آل البيت (العباس عم النَّبي) ــ كانوا مع الدعوة الشِّيعية في الأصل، ثم انفصلوا عنها بعد استقرار الأمر لهم.

وعلى هـذا الأسـاس، أعطت كثرة الدراسات المناوئة للشِّيعة والمَعدة من مؤرخي العقائد والفرق الإسلامية على تُعد دها صورةً مشوهةً عن حقيقة عقيدة الشِّيعة وأفكارهم السّياسـية. كما يجب التنويه إلى أن مصادر الشِّيعة الأصلية قد كتبت في ظروف الدفاع عن عقائدهم (دفاع / هجوم) ضدَّ المعارضين لهم، لذلك طغت عليها الصبغة السِجالية وليس العلمية التي تستند على العقل والمنطق [1].

من الناحية الديمغرافية يُعد الشِّيعة ثاني أكبر طائِفة إسلامية بعد السُّنّة، إذ يتراوح عددهم في العالم حاليًا ما بين 154 و200 مليون نسمة بنسبة 10% إلى 13% من إجمالي عدد المسلمين في العالم (عدم وجود إحصائيات دقيقة)، ويقدر الباحث الفرنسي **فرنسوا تويال (François Thual)** عدد المسلمين في العالم بنحو مليار ومائتي مليون نسمة ومرجحٌ أن يصل في السنوات القادمة نحو مليارين، يُشكّل الشِّيعة من 10 إلى 12% منهم [2]. أمّا من الناحية الفكرية فقد ظهرت فرق كثير من الشِّيعة على مر وامتداد التاريخ الإسلامي فحسب الشيخ **عبد القهار البغـدادي** (سُنّي)، فإنّ الرافضة (الشِّيعة) افترقت بعد زمان علي رضى الله عنه إلى أربعـة (04) أصناف كبرى: زيدية، إمامية، كيسانية وغلُاة [3]. لكنّ أغلبها اختفى ولم يبقى سوى **الاثنا عشـريّة** (الإمامية أو الجعفرية أو الرافضة تسمى كذلك)، وهم أكثر الشِّيعة عددًا في الوقت الحالي، حيث يشكلون حوالي 90% من الشِّيعة، يليهم من حيث العدد الإسماعيليون (عددهم حوالي 50 مليون) ثم الشِّيعة الزيدية، أضافة إلى الدروز.

ما يهمنا نحن من هذا كله المفهوم المعاصر للشِّيعة الذي أصبح يطلق على الاثنا عشريّة وهم الطائِفة الأبرز من الشِّيعة التي تقابل السُّنّة. والذين يُشكّلون أغلبية سكان بعض البلدان كإيـــران، والبحريـن، وأذربيجان، والعـراق، وفي بعض البلدان، هم من كبرى الطوائِف كلبـنان، كما يُشكّلـون أقليّات كبيرة في بعض البلدان كالسعـودية، والكـويت، وباكسـتان، وأفـغانستان، والهنـد، وغيرها. وفي بلدان أخرى يُشكّلـون أقليّات صغرى، كقطـر، والإمارات، وتركيا. ما جعل الجماعات الشِّيعية عنصرًا وعاملًا لا يمكن تخطيه في أيّ تحليل جغراسي (جيوبولتيكي) للشرقين الأدنى والأوسط. خاصةً أَنَّ منطقة الخليج العربـيّ - الفارسـي التي تحتوي على ثلاثـة أربـاع ¾ المخزون العالمي من النِّفط يسكنها 75% من الشِّيعة الموجودون في العالم [4]، بَيْدَ أَنَّ المعضلة تكمن في كون أغلب الدول التي يشكّل

---

[1] فاخر جاسم، "تطور الفكر السّياسي لدى الشِّيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة"، (أطروحة دكتوراه في العلوم السّياسية غير منشورة، مقدمة إلى مجلس آلية القانون والسّياسة الأكاديمية العربـيّة المفتوحة في الدنمارك، 2008)، ص 3.

[2] فرنسوا تويال، الشِّيعة في العالم صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم، ترجمة: نسيب عون، بيروت، 2007، دار الفارابي، ص 25.

[3] أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفَرْقُ بين الفِرَق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق لجنة احياء التراث العربـيّ في دار الأفاق الجديدة، ط 5، بيروت، 1982، منشورات دار الأفاق الجديدة، ص 15.

[4] فرنسوا تويال، المرجع السابق، ص 121.

www.manaraa.com

الشِّيعة أغلبية عددية ــ عدا إيــران ــ محكومة من طرف حكام من السُّنّة. وتجدر الإشارة هنا، أنَّ مُصطلح الشِّيعة بشكل عام عرف بعض الاتساع من الناحية الإعلامية بعد أحداث الربيـع العربـيّ أين تنامت الطائِفية حيث أصبح يجمع في طياته العلـويين في سوريـة (النُصيرية) والزيديـن في اليمـن (الحوثيين) إضافة طابعًا إلى الشِّيعة الاثني عشريّة.

مـن الناحية التاريخية، تُعد الاثنا عشريّة فريقًا من الإمامية، هذه الأخيرة ولدت في القرن الثـانـي الهجري من بين عدد من الفرق الشِّيعية (الكيسانية، الزيدية) التي كانت تحارب الدولة الأموية وتلتف حول عدد من الأئمة العلويين أو الفاطميين. وامتازت الإمامية بلقبهم هذا لأنّهم طوروا ولاءهم لأهل البيت من ولاء سّياسي إلى عقيدة دِّينية، ويعود الفضل لجعفر الصادق (الإمام السادس عند الاثنا عشريّة) في تبلور مذهب الإمامية بشكل حقيقي. وعلى هذا، أحدثت وفاة جعفر الصادق انقسمًا داخليًا ضمن الإمامية بحيث تشكّلت فرقة الإسماعيلية، وهي إحدى فرق الشِّيعة الإمامية وثاني أكبرها بعد الاثني عشريّة. ويشترك الإسماعيلية مع الاثنا عشريّة في مفهوم الإمامة، إلّا أنَّ الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشِّيعة بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق، إذ رأى فريق من جمهور الشِّيعة (الإمامية) أن الإمامة في ابنه الأكبر الذي أوصى له **إسماعـيل المبـارك** (تسمى الفرق باسمه إسماعلية أو مباركية وأحيانًا سبعية لاختلافهم مع الاثنا عشريّة في الإمام السابـع)، بينما رأى فريق آخر أنَّ الإمام هو أخوه موسى الكاظم (الإمام السابع) لثبوت موت إسماعيل في حياة أبيه وشهادة الناس ذلك. والحـال، أنَّ الإسماعيلية استطاعت أن تنشأ دولة محكومة من طرف هذه السلالة العلوية الشِّيعية امتدت لعدة قرون وحكمت جزءً مهمًا من العالم الإسلامي، عرفت بـ: الخِلَافَة الفَاطِمِيَّة أو الدَّوْلَة العُبَيْدِيَّة (909م – 1171م)، والتي كانت منافسًا كبيرًا في الشرعية (الخلافة) للعباسيين (السُّنّة)، تجدر الإشارة هنا، أنَّ ــ في الوقت الحالي ــ جزءً كبيرًا من الإسماعيليين هم أتباع الأغا خان ويُسمون أيضًا النزارية.

وبالعـودة إلى الشِّيعة الاثنا عشريّة فإنّها لم تكسب هذه التسمية إلّا في منتصف القرن الـرابــع للهجرة / العاشر الميلادي، وحسب الباحث الإيرانـي المختص في الجماعات الشِّيعية **فرهـاد دفـتري (Farhad Daftary)**، فإنّ أوّل استعمال لهذه التسمية ــ أي الاثنا عشريّة ــ جاء بعد عدة عقود من غيبة الإمام الثـانـي عشر [1]. ويعتقد الاثنا عشريون أن الأئمة أي علي بن أبي طالب (ﷺ) وأحد عشر إمامًا من ولده (من زوجته فاطمة بنت النَّبي محمد) معصومين ومعينين من قبل الله. ورفضوا ــ بناء على ذلك ــ الشورى كطريق لانتخاب الإمام، وكان قولهم هذا رد فعل على تسلط الحكام الأمويين بالقوة وتداولهم للسلطة بالوراثة وادعائهم للعصمة ومطالبتهم للأمة بالطاعة المطلقة. أمّا النظرية السّياسية لدى الاثني عشرية فقد ولدت بشكل خاص في صفوف **الشِّيعة الموسوية** (موسى الكاظم)، وبالأخص في الجناح المتُشدّد الذي كان يلتزم بقانون الوراثة العمودية (من الأب إلى الابن البكر) ولا يقبل أيّ تسامح فيه، وقد قال هذا الجناح بوجود قائمة مسبقة وتحديد أسماء الأئمة من قبل الرسول (ﷺ) باثني عشر إمامًا[2].

---

[1] فرهاد دفتري، تاريخ الإسلام الشِّيعي، ترجمة: سيف الدين القصير ، بيروت، 2017، دار الساقي، ص 83.

[2] أحمد الكاتب، الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري" حقيقة تاريخية؟.. أم فرضية فلسفية؟، ط 7، [د. م.]، 2008، [د. ن.]، ص ص 5، 25.

www.manaraa.com

ويُعتبر سُليم بن قيس الكوفي في كتابه المعروف بـ: **كتاب السقيفة** أو بكتاب سليم بن قيس الهلالي أوّل من أشار إلى عدد الأئمة الاثنا عشر (12) حيث أصبح ما نقله أحد أهم المسلمات في الفِكر الشِّيعي الجعفري. وهؤلاء الأئمة هم حسب التسلسل: **علي بن أبي طالب** (رابع الخلفاء الراشدين) الذي يلقبونه بالمرتضى (23 سنة قبل الهجرة - 40هـ)؛ **الحسن بن علي** (03 هـ - 50هـ) ويلقبونه بالمجتبى؛ **الحسين بن علي** (04 - 61هـ) ويلقبونه بالشهيد؛ **علي زين العابدين بن الحسين** (38 - 94هـ) ويلقبونه بالسَّجَّاد؛ **محمد الباقر بن علي زين العابدين** (57 - 114هـ) ويلقبونه بالباقر؛ **جعفر الصادق بن محمد الباقر** (83 - 148هـ) ويلقبونه بالصادق؛ **موسى الكاظم بن جعفر الصادق** (129 أو128 - 183هـ) ويلقبونه بالكاظم؛ **علي الرضا بن موسى الكاظم** (148 أو 153 - 203هـ) ويلقبونه بالرضى؛ **محمد الجواد بن علي الرضا** (195 – 220هـ) ويلقبونه بالتقي؛ **علي الهادي بن محمد الجواد** (212 - 254هـ) ويلقبونه بالنقي؛ **الحسن العسكري بن علي الهادي** (232 - 260هـ) ويلقبونه بالزكي؛ وآخرهم **محمد المهدي بن الحسن العسكري** (225هـ -) ويقولون أَنَّهُ لم يمت ولكنّ غاب في السرداب ويلقبونه بالحجة القائم المُنتظر (غاب غيبة صغرى عام 260هـ لمدة 75 سنة وكان يتصل بشِيعته من خلال أربعة (04) سفراء ثم غاب غيبة كبرى عام 329هـ) ومما يجدر الإشارة إليه هنا أَنَّ الولي الفقيه هو نائب عن المهدي حتّى خروجه (الغيبة).

وقد شكّلت هذه النظرية بصفة عامة المرجع السّياسي الوحيد للشِّيعة الجعفرية، لكنّ بعد وفاة آخر ما يُعرف بـ: **الأوصياء** أو **السفراء** سنة 329 هجرية (علي بن محمد السَّمَري) ــ والأوصياء في الفِكر الجعفري هم أربع (04) شخصيَّات (عثمان بن سعيد العمري السمّان، محمد بن عثمان العَمري، الحسين بن روح النوبختي، علي بن محمد السَّمَري) كانوا يُشكّلون همزة الوصل بين محمد بن الحسن العسكري (الإمام المهدي) وأنصاره (الغيبة الصغرى) ــ دخلت الاثنا عشريّة مرحلة جديدة عرفت بالغيبة الكبرى؛ وهي حالة انتظاريه طالت لعدة قرون، كانت فيها علاقة الشِّيعي بالسلطة الزمنية يشوبها نوع من السلبية والعزوف وحتّى الاحتقار، ذلك أَنَّ أيّة سلطة سّياسية ليس الإمام المهدي على رأسها هي سلطة غير شرعية.

كان النتيجة تشكّل نظرية شِّيعية لا تستطيع إلّا أَنَّ تخفض معنويًا من قيمة الدولة. حيث أَنَّ فكرة الإمام المخلص الإسكاتولوجية (Eschatology) وجدت نفسها أمام طريق مسدود مع ما يعرف بالغيبة الكبرى للإمام المهدي ما جعل كل المجتمع الشِّيعي يعيش في حالة اغتراب وغزلة سّياسية لعدم وجود الإمام، حالة الترقب والانتظار هذه حاول بعض الفقهاء الخروج منها بابتداع نظريات جديدة عرفت تطورات وأخذًا وردًا بين المراجع الشِّيعية، المفارقة أن المُلّا كان يتمتع بنفوذ كبير عند الجماهير غير أَنَّهُ كان يكتفي بالشؤون الفقهية ويتجنب السّياسة قدر الإمكان. ومن أهم المصادر والمراجع الشِّيعية (الإمامية) التاريخية الأساسية في هذا الصدد نجد مؤلفات كل من: الشيخ الحسن بن موسى النوبختي، **فرق الشِّيعة**، سعد بن عبد الله الأشعري القمي، **المقالات والفرق**. الشيخ محمد بن أبي زينب النعماني، **الغيبة**. الشيخ الصدوق، **كمال الدّين وتمام النعمة**. الشيخ محمد بن محمد بن نعمان العكبري المفيد، **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**. الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (شيخ الطائِفة)، **الغيبة**. كما تتوفر شبكة الانترنت عدد مهم من المواقع الإلكترونية المروجة للفكر الشِّيعي على غرار موقع

www.manaraa.com

آل البيت العالمي للمعلومات، وموقع: **شبكة الشّيعة العالمية** الذي يحتوي على مجموعة من الكتب القابلة للتحميل والتي تعتبر مراجع للشّيعة الإمامية من حيث التعريف بمذهبهم وشرح عقيدتهم والرد على مخالفيهم.

أمّا، أهم النظريات السّياسية في الحكم التي عرفها الفِكر السّياسي الشّيعي خلال هذه المرحلة فنجد: نظرية النيابة العامة، ونظرية النيابة الملكية، ونظرية المرجعية الدّينية، ونظرية ولاية الفقيه المقيدة (النُسخة الأُولى) والتي كان علي الكركي العاملي أوّل من نادى بها. في حين تعتبر إسهامات الإمام الخميني ثورةً وصحوةً في الفِكر السّياسي الشّيعي، أين طور الخميني نظرية سّياسية جديدة **(Khomeinism)** تجمع بين نظرية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي الغائب ونظرية ولاية الفقيه (المقيدة)، ما يُعرف باسم **ولاية الفقيه المُطلقة**، وهي مصطلح سّياسي مُحدث في الفقه والفِكر السّياسي الشّيعي الاثني عشريّة بحيث ينوب الفقيه الجامع (آية الله أو آية الله العظمى) للشرائط في عصر غيبة عن الإمام الحجة (الإمام الثاني عشرة)، في قيادة الأمّة وإقامة حكم اللّه على الأرض حتّى يظهر.

وقد نقلت هذه الخطوة الفِكر السّياسي الشّيعي من مرحلة إجازة الفقهاء للملوك الحكم باسمهم ووكالة عنهم (ولاية الفقيه المقيدة) إلى مرحلة حكم الفقهاء المباشر وممارسة مهمات الإمام بشكل وبصورة كاملة [1]. أين يكون المُلّالي على رأس جميع أجهزة التنفيذ في إدارة المجتمع الإسلامي مثلما كان الرسول الأعظم (ﷺ)، وبهذا فقط يكون التجسيد الحقيقي للحكومة الإسلامية على حد تعبير الخميني.

والحقيقة، أنَّ الخُمينية (أثناء حياة الخميني) لم تَلْقَ إجماعًا على أرض الواقع من لَدُنْ علماء الشّيعة الكبار ومراجع التقليد، والذين على قلتهم بقي الكثير منهم يتحفظ على ممارسة المُلّالي السلطة السّياسية، حيث لم تَلْقَ أفكار الإمام الخميني المتعلقة بولاية الفقيه المطلقة سوى القليل من التأييد وفي بعض الحالات الرفض من طرف مراجع التقليد الكبار على غرار: **أبو القاسم الخوئي** (1899 - 1992) أكبر مراجع التقليد نفوذًا في وقته، أو **محمد كاظم شريعتمداري** (1905 - 1986)، **محمد جواد مغنية** (1904 - 1979)، **حسن طبطبائي القمي** (1912 - 2007)...إلخ، ويعود السبب في رفض ولاية الفقيه المطلقة بصفة عامة والخُمينية على وجه التحديد لسببين (02) رئيسيين، الأوّل يتعلق كون ولاية الفقيه في الأساس نظريةٌ مستوردةٌ من الفقه السُنّي، من خلال إسهامات أبو الحسن علي الماوردي في كتابه: **الأحكام السلطانية**، حيث نقلها الكركي عندما كان يدرس بالأزهر واعطاها صبغة شّيعية.

أمّا، السبب الثاني والأهم في معارضة ولاية الفقيه الخُمينية كونّها قوضت النظام الإكليريكي (Clerical) الشّيعي الذي نشأ خلال الثلاثة القرون المنصرمة، حيث ألحق الخميني الشريعة بالثورة وجعلها تابعةً لها وليس العكس، ناهيك أن المجمعية التي كانت قائمة بين آيات الله العظام قد عرفت نهايتها على يد الخميني ولصالحه، وعلى هذا فإنّ الثورة الإيرانية ــ كما يرى الباحث الفرنسي **أوليفييه روا (Olivier Roy)** ــ لم تكن ثورة آيات الله بل ثورة حجج الإسلام أَي العلماء الأقل مرتبة في التراتبية الشّيعية [2].

---

[1] أحمد الكاتب، تطور الفكر السّياسي الشّيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، بيروت، 1998، دار الجديد، ص 414.

[2] أوليفيه روا، تجربة الإسلام السّياسي، ترجمة: نصير مرّوة، ط 2، بيروت، 1996، دار الساقي، ص ص 166، 171.

www.manaraa.com

المحـور الثـالـث: الصـراع الوّهَابـيّ / الاثنـا عشـري

أوّلًا: وجهة النظر الوّهَـابيّة للاثنا عشريّة

تعتبر الوّهَـابيّة - السعـودية الصـراع القائم بينها وبين الشّيعية قائمًا على العقيدة بسبب تحريفهم للعقائد الإسلامية وسبهم للصحابة، وقد استعان آل سعود لتبرير هذه الرؤية بمجموعة كبيرة من علماء الدّين الوّهَابيّين وجندوا لهذا ترسانة من الكتب والفتاوى والقنوات الإعلامية والمواقع الإلكترونية التي تأكد على هذا الأمر، والتي من السهولة الوصول إليها، فعلى سبيل المثال كتب أحد رجال الدّين الوّهَابيّين المشهورين: **أبو بكر جابر الجزائري** رسالة أسمها: **هذه نصيحتي إلى كل شّيعي** يتضمن فيها رؤيته للعقائد الشّيعية، وبالتحديد الاثنا عشريّة التي يعتبرها خارجة عن الإسلام، كما أنَّ رأي المفتي العام للمملكة السابق **عبد العزيز بن باز** لا يزيد عن كونهم كفارًا في أغلبهم، إضافة أن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السعـودية المتكونة سابقًا من: عبدالعزيز بن باز، عبد الرزاق عفيفي، عبدالله بن غديان، عبدالله بن قعود، لها الكثير من الفتاوى حول الشّيعة تدور كلها تقريبًا في نفس السياق، وهو بطلان عقيدة الاثنا عشريّة، ومن بين المواقع السلفية (الوّهَابيّة) المهمة في الدعوة إلى الوّهَابيّة والذي يتضمن أيضًا مجموعة من الكتب للرد على الشّيعة: **موقع صيد الفوائد، والمكتبة الوقفية**.

ولعـل إلقـاء نظرة بسيطة على عناوين الكتب ــ في المكتبة الوقفية ــ المخصصة للرد على الشّيعة يعطينا صورةً عن مدى الصـراع القائم بينهما، فمن بين عناوين الكتب التي يحتويها هذا الموقع على سبيل المثال لا الحصر نجد: محمد بيومي، **حقيقة الشّيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السُّنَة**. هجاد مساعد التيمي أبو ذر، **الألوهية والعبودية في معتقد الرافضة**. بدر بن ناصر بن محمد العواد، **النصب والنواصب دراسة تاريخية عقدية**. سليمان بن صالح الخراشي، **أسئلة قادت شباب الشّيعة إلى الحق**. عبد الله بن منصور أبو حيمد، **دعوى التحول إلى مذهب الإمامية الاثني عشريّة على شبكة المعلومات العالمية الانترنت عرض ونقد**. سيد حسين العفاني، **خميني العرب حسن نصر الله والشّيعة الرافضة الشر الذي اقترب**. وحتّى **سلمان العـودة** الذي يعتبر أقل تشدّدًا له موقف يشابه فيه إخوانه الوّهَابيّين [1]. ما يعني أنَّ هناك اجماعًا وّهابيًا على هذا الأمر.

أمّا، الملاحظـة التي يتوجب الوقوف أمامها فتتعلق بتركيز الكتابـات الوّهَابيّة على الاثنا عشريّة في حين تستثني الفرق الشّيعية الأخرى الأكثر تطرفًا منها من المنظور السُّنّي العام، كما أنَّها تعتمد في الحكم على عقائد الشّيعة من الكتابـات السُّنّية والتراثية القديمة، حيث توجه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أغلب السائلين عن الشّيعة نحو الكتب التّالية: **مقالات الإسلاميين** لـ: أبي الحسن الأشعري، **ومنهاج السُّنَة النبوية في نقض كلام الشّيعة القدرية** لـ: شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب **الفرق بين الفرق** لـ: عبد القاهر البغدادي، وكتاب **الملل والنحل** لـ: الشهرستاني، **والملل والنحل** لـ: ابن حزم، وكتاب **مختصر التحفة الاثنا عشريّة** لـ: شـاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي. في حين أنَّ هذه الكتب كتبت في سياقـات تاريخية معينة وفي ظروف سّياسـية خاصة.

---

[1] سلمان بن فهد العودة، حوار هادئ مع محمد الغزالي، الرياض، 1989، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص ص 70 - 75.

www.manaraa.com

وعلى أرض الواقع، فإنّ الكثير من المواجهات العنيفة تقع في موسم الحج بين حُجاج من الشِّيعة وقوات الشرطة الدِّينية السعودية (المطاوعة) بسبب ما يعتبره الوّهَابيّون تشويهًا من لَدُنْ الشِّيعة لمناسك الحج من خلال إدخالهم بعض الممارسات المرفوضة من وجهة النظر الوّهَابيّة، وينعكس هذا الأمر مباشرة على العلاقات الثنائية بين السعودية وإيران، ذلك أنَّ أثنين (02) من أصل ثلاث (03) حالات لقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين كانت عقب مواجهات أثناء أداء مناسك الحج.

ثانيًا: وجهة النظر السُّنَية للاثنا عشريّة

بعد عرض وجهة النظر الوّهَابيّة حول الشِّيعة من الضروري أن نرى وجهة النظر السُّنّية تجاه الاثنا عشريّة حتّى ننفي أنَّ هناك صراعًا عقائديًا أو طائِفيًا بين السُّنّة والشِّيعة، ولنبدأ بأحد أشهر الكتب السُّنّية التي تناولت موضوع الفرق الإسلامية، وهو كتاب: **الفَرْقُ بين الفِرَق وبيان الفرق الناجية منهم، لـ: عبد القهار البغدادي**، الذي تناول الاثنا عشريّة ضمن فرق الإمامية الخمسة عشر، ويسميهم **القطعية** لأنَّهم قطعوا بموت موسى الكاظم وزعموا أنَّ الإمام بعده هو علي بن موسى الرضا. أمّا، كونهم غير مسلمين فلم يأتي البغدادي على ذكرهم في الباب الرابع من كتابه الذي خصص لبيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه مما يدل على اعترافه بهم كجزءٍ من المسلمين.

أمّا **عمارة**، فيرى أنَّ مجمل أهل السُّنّة لا يكفرون الشِّيعة بل ينحصر تفكيرهم سوى في قطاع من السلفيين [1].

ومن بين العلماء البارزين الذين خاضوا في هذه المسألة، شيخ الأزهر السابق **محمود شلتوت** الذي أفتى بجواز التعبد على المذهب الجعفري. والشيخ **محمد الغزالي**، الذي قال: "[...] **إنّ الشِّيعة لا يفترقون عن الجمهور في اعتماد الأصول وبعدما سكنت فتنة النزاع على الخلافة والشقاق حول شخص الخليفة أصبح من العبث بقاء هذا التفرق وأصبح كلام الشِّيعة لا يزيد عن كلام أي مذهب إسلامي في فقه الأصول والفروع[...]**" [2]. ويضيف قائلًا: "[...] **ولا يختلف السُّنَي عن الشِّيعي بالأخذ بسُنَية الرسول (ﷺ)، فالاختلاف في الطريق الموصل إليها وليس في السُّنَة في حد ذاتها[...]**" [3].

ثالثًا: وجهة النظر الاثنا عشريّة للوّهَابيّة

يربط الشِّيعة سواءً كانوا عربًا أو عجمًا بين الوّهَابيّة كفِكر وايديولوجية وآل سعود بما جعل العلاقة بين بينهما أكثر تعقيدًا وانعكست في نفس الوقت على العلاقة بين الدولتين، حيث يعتبرون أنَّ آل سعود والنظام السعودي يُشكّلان مع الوّهَابيّين وجهان لعملة واحدة، تكرست هذه النظرة المريبة أكثر مع اعتلاء رجال دِّين الشِّيعة السلطة في إيران. فنتيجة للأفكار الوّهَابيّة المتطرفة وسلوك الوّهَابيّين السعوديين ضدَّ الشِّيعة ومقدساتهم منذ أوّل دولة لهم (1744 - 1818)، مرورًا بالثانية (1818 - 1891)، ووصولًا إلى النظام الحالي (1932 -) تشكّلت نظرة سلبية عند الشِّيعة عمومًا تجاه الوّهَابيّين، حيث لم يتوان الوّهَابيّون في فترات زمنية سابقة عن استباحة دماء وأموال الشِّيعة.

---

[1] محمد عمارة، فتنة التكفير بين الشِّيعة والوّهَابيّة والصوفي، سلسلة قضايا إسلامية العدد 124، القاهرة، 2006، وزارة الأوقاف، ص 73.

[2] سلمان بن فهد العودة، المرجع السابق، ص 70.

[3] محمد الغزالي، ليس من الإسلام، القاهرة، 1998، دار الشروق، ص ص 63 - 64.

www.manaraa.com

وتذكر الباحثة السعـودية **مضـاوي الرشـيد**، في كتابها: **السّياسـة في واحة عربـيّة إمـارة آل الرشـيد**، أَنَّهُ في نهاية القرن الثامن عشر أدت النشاطات السعـودية - الوّهَـابيّة العسكريـة في جنوب العـراق إلى سلب الكثير من الحُجاج الفُرس المسافرين بين الحلة ومشهد علي، لذلك كان هؤلاء الحُجاج يشعرون بعدم الأمان لدى السفر على الأراضي السعـودية، وحاولـوا في سنوات لاحقة تفادي الطريق المؤدي إلى الدرعية، حيث كان يفضلون الطريق القديم المعروف بدرب زبيدة، (بين حائل وجبل شمّر) الذي كان يسيطر عليه آل الرشيد. هذا الظلم والاضطهاد أعاد الوعي الجمعي الشِّيعي المبني أساسًا على المظلومية التاريخية إلى الحالة القديمة، أين تعرضوا إلى القتل والتهميش من لَدُنْ الأمويين، لذا لا نستغرب أَنَّ الكثير من مفكريهم يشبهون آل سعود ببني أمية ويكنون لهم نفس الحقد والعداء.

صـورةٌ سيئةٌ للغاية إذن يملكها الإيرانـيون الشِّيعة تجاه السعـودية، عمقها إضافة إلى طبيعة الوّهَابيّة العدوانية والمورث التاريخي دعم السعـوديين لأعداء إيـــران، فقد كان لدعم السعـودية ودول الخليج العربـيّة للعراق ماليًا وسّياسيًا أثار بليغة على النفس والشخصيَّة الإيرانـية، فعندما غزا العـراق إيـــران عام 1980 كان الخميني يردد دائمًا أَنَّ هذا الأمر ما هو سوى مكيدة من السعـودية والولايات المتحدة الأمريكـية. كما كانت هناك إشاعات وأخبار عن تقديم السعـودية وإسرائيل وأمريكـا مساعـدات ودعمًا ماليًا لابن الشـاه المخلوع رضا بهلـوي الثـانـي قدرت آنذاك 800 مليون دولار من أجل القيام بعميلة انقلابية على النـظام الجديد [1]. زد على هذا الخسائر التي يتكبدها الإيرانـيون جراء السّياسـة النِّفطية السعـودية التي تخدم حسبهم العدو الأمريكي على حساب حياة ومعيشة الشعب الإيرانـي. كـما أَنَّ محاولة المملكة التشويش على إيـــران من خلال دعم الحركات المعارضة لها لعل أهمها **حركـة مجاهـدي خلـق** (سازمان مجاهدين خلق إيران)، واعتبار الشِّيعة أخطر من الكيان الصهيوني خلق ردة فعل عكسية عند الشعب الإيرانـي وحكومته.

ويُؤمن الجعفريـون أَنَّ الوّهَابيّة مذهبٌ مستقل بنفسه لا يُمثل السُّنّة يتميّز بالعنف، إذ يقول **مغنيّـة**: "[...] **أن المبدأ الأوّل للوّهَابيّة، وشعارهم الوحيد، إمّـا الوّهَابيّة وإمّـا السيف، فمن اعتنقها سلم، ومن أبى أبيح دمه وذبحت أطفاله ونهبت أمواله، ومحال أن ينظر الوّهَابيّ إلى غيره إلّا بهذه العين المكفرة المستحلة للأرواح والأموال[...]**" [2]. أمّـا، **أحمد الكاتـب** فيرى أَنَّ الحديث عن الوّهَابيّة أُنموذج للحديث عن الحركات الإسلامية المُتطرفة التي تحتكر الإسلام لنفسها وتجرد الآخرين منه أو تشكك في إيمانهم [3]. بينما يعتقد **الإمـام الخميني** أَنَّ الوّهَابيّة مذهب خُرافي لا أساس لأيّ شيءٍ منه على الإطلاق يسوق الناس والشعوب الغافلة نحو القوى الكبرى ويستغل القرآن الكريم لهدم الإسلام والقرآن [4].

وعلى غـرار موقف المؤسسة الدِّينية الرسمية السعـودية من الشِّيعة نجد أيضًا المؤسسة الدِّينية في إيـــران تتخذ موقفًا مناهضًا للوّهَابيّة سواءً من خلال الكتب أو الفتوى أو من خلال ما يعرف بـ: حرب الإعلام الجديدة أين تمت العديد من المواقع المخصصة حصرًا للهجوم على للوّهَابيّة، مثل موقع: **المكتبة التخصصية للرد على الوّهَابيّة**، أو

---

[1] بنفشه كي نوش، العلاقات السعـودية - الإيـــرانية منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم، ترجمة: إبتسام بن خضراء، بيروت، 2017، دار الساقي، ص 27.

[2] محمد جواد مغنيّة، المرجع السابق، ص ص 78 - 79.

[3] أحمد الكاتب، الفكر السّياسي الوّهَابيّ قراءة تحليلية، المرجع السابق، ص 9.

[4] سيد روح الله الخميني، الوصية الخالدة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، شوهد في 01 فبراير 2017، في: <http://bit.ly/2IkngDE>

www.manaraa.com

موقع: **مركز الأبحاث العقائدية**. ويؤكد رئيس البرلمان الإيرانـي **علي لاريجاني**، في إحدى تصريحاته أثناء جلسة مجلس الشورى الإسلامي، بقوله: "[...] **أن السعـودية ومنذ 60 عامًا كانت عاملًا لنشر إيديولوجية العنف من خلال نشر الوّهَابيّة التي تمثل إيديولوجية العنف في العالم، وذلك باسم نشر الإسلام ومن خلال بناء المساجد وتعليم الشباب. ومن جهة أخرى حاول النـظام السعـودي تهميش الأزهر الذي هو مركز فكري معتدل وأكثر عمقًا لأهل السُّنَة[...]**" [(1)]. في حين يذهب **محمـد جـواد ظـريف** وزير خارجية إيـــران، إلى القول: "**أن الوّهَابيّة إيديولوجية نابعة من الكراهية معادية لكل من يخالفاها، حيث لم تستثني أحدًا سواءً الشِّيعة أو السُّنَة، [...]، فالمشكل ليس في الصـراع القديم بين السُّنَة والشِّيعة، وإنّما هو صـراع بين الوّهَابيّة والإسلام ككل، فعلى مدى العقود الثلاثة الماضية أنفقت الرياض عشرات المليارات من الدولارات لتصدر الوّهَابيّة للعالم من آسيا إلى أفريقيا، ومن أوروبا إلى الأمريكيتين من خلال بناء وتمويل الآلاف من المساجد والمدارس. هذا الانحراف اللاهوتي الوّهَابيّ المدمر قد شوه الإسلام. حتّى قيل إنّ "السعوديين غيروا الإسلام تمامًا بأموالهم". وعليه، الكثير من أعمال العنف التي ترتكب باسم الإسلام يمكن أن تعزى إلى الوّهَابيّة**" [(2)].

والحقيقـة، أنَّ المُجتمع الشِّيعي عمـومًا الذي عاش فترة طويلة في الهامش وتحت الاضطهاد من طرف المنافسين السّياسـيين ترسخت فكرة المظلومية لديه، منذ أيام الإمام علي (ﷺ) تم الحسين وكربلاء التي تعتبر نقلة في الفِكر الشِّيعي جعلته أكثر تطرفًا. ويتقاطع هذا الأمر مع الذاكرة الجمعية (Collective Memory) والمُتّخيل الإيرانـي القديم والحديث الذي رسم صورةً سوداوية عن السعـوديين الذين أسهموا إمّا بشكل مباشر أو غير مباشر في المساس بالهوية الشِّيعية والمصلحة الإيرانـية. لهذا، تعتبر السّياسـات الإيرانـية المعادية للمملكة ــ كـما يُشير الباحث الإيرانـي **مهـدي خلـجي** ــ مشروعةً وضروريةً من وجهة نظر الحكومة والشعب الإيرانـي، بل أنَّ التدخل العسكري للنـظام في أجزاء مختلفة من المنطقة مشروع وضروري أيضًا نتيجة هذه الرؤية [(3)].

كـما يبـدو أنَّ الإيرانـيين يُعادون سّياسـة الدول العربـيّة، وبالتحديد الدول الخليجية أكثر مما يعادون العربـيّة سواءً ثقافةً أو عرقًا، وإلّا كيف يمكن تفسير أنَّ اللغة العربـيّة إجبارية في المدارس الإيرانـية طبقًا للدستور، إذ تنص المادة (16): "**بما أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية هي العربـيّة، وأن الأدب الفارسـي ممتزج معها بشكل كامل؛ لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتّى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية**". علاوة على ذلك، فإنّ الترقي في المسؤوليات والمناصب السّياسـية داخل النـظام لأفراد من أُصول عربـيّة يؤكد هذا الافتراض، زد على هـذا أنَّ الهوية الشِّيعية التي يتبانها النـظام مرتبطة بعاملين (02) جوهريين هما: أوّلًا: **العـرب** من خلال آل البيت والأسياد (أصحاب العمائم السود) والأماكن المقدسة لديهم، ذلك أنَّ جُل الأئمة الاثنا عشر (الإمام الثـانـي عشر حسبهم في غيبة كبرى) مدفونون في بلدان عربـيّة، حيث أربعٌ (04) من الأئمة مدفونون في السعـودية وبالتحديد في المدينة المنورة، وهم: الحسن بن علي، علي زين العابدين، محمد الباقر، وأخيرًا جعفر الصادق. وست (06) منهم في العـراق، وهم: علي بن أبي طالب (الكوفة)، الحسين بن علي (كربلاء)، موسى الكاظم (الكاظمية)، محمد

[(1)] "لاريجاني: السعودية ومنذ 60 عامًا كانت عاملًا لنشر ايديولوجية العنف"، وكالة أنباء فارس، 23 مايو 2017، شوهد في 01 يونيو 2017، في: <http://bit.ly/2NLAnB3>

[(2)] Mohammad javad zarif, "let us rid the world of wahhabism", The New York Times,13/09/2016 , accessed on 22/08/2017, at: <https://nyti.ms/2rfNBKu>

[(3)] مهدي خلجي، "الحذر بين المملكة العربـيّة السعـودية وإيـــران"، معهد واشنطن، 04 أكتوبر 2016، شوهد في 01 سبتمبر 2017، في: <http://bit.ly/2ujgPfg>

www.manaraa.com

الجواد (الكاظمية)، علي الهادي (سامراء)، الحسن العسكري (سامراء). وواحد (01) فقط في إيـــران، وهو: علي الرضا (خرسان). ثـانـيًا: **اللغة العربـيّة** من خلال النصوص والكتب الدِّينية الأساسية، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تتضارب معهما.

خاتمة:

أخيـرًا، يُمكننا القول إنّ الإيديولوجية تُعتبر مهمةً في فهم الصـراع على حقيقته لا سِيَّما أنَّ المُعتقدات المشتركة الناتجة عنها تؤدي إلى خلق شعور بهوية المجموعة وتحديد أعدائها وخصومها ومن تم العمل ضدَّهم مما يعني أنَّ فهم الإيديولوجية وتفكيكها يُعد مفتاح الحل الفعال للعديد من الصراعات وكيفية إدارتها. غير أنَّ الصُّعوبة الكبرى تكمن في أنَّ الإيديولوجية لطالما كانت غير مفهومة ومتقلبة مما قد يعطي انطباعات خاطئة، ناهيك أنَّهُ لا توجد دولة إيديولوجية بشكل كامل ذلك أنَّهُ غالبًا من تكون سّياسـة الدول براغماتية حتّى ولو ادعت العكس مما يعني أنَّ الفصل بين الاعتبار المصلحي والايديولوجي للدول يُعد في الحقيقة أحد الحلول الناجعة لتفسير الصـراع والأهم من ذلك استشراف مستقبلها.

وتُعتبر الحـرب الباردة الإقليمـية التي تخوضها كل المملكة الإسلامية والجمهورية الإسلامية في جزءٍ منها نابعة من التناقض الإيديولوجي بين الطرفين والذي تنخفض وترتفع نسبة الإيديولوجية فيها حسب رغبة النـظام السّياسي وحسب المناخ العام والوضع الإقليمي، إذ من السطحية الاعتقاد أنَّ السعـودية أو حتّى إيـــران تُمثلان دولة إيديولوجية بحتة تبني كل سلوكياتها الخارجية على هذا الأساس، وإنّما هما كما يُشير الواقع السّياسي دولتان ذات توجه براغماتي بالأساس، ما نريد أن نقوله هنا هو أنَّ الإيديولوجية (الوّهَابيّة أو الخُمينية) حتّى وإن كانت جزءً من شخصيَّة النـظامين؛ إلّا أنَّها توظف في سياقـات معينة ومحددة تتوافق مع سّياسـة الدولة وتوجهاتها.

مـع ذلـك، يبقى التفسير الإيديولوجي للصـراع الإيرانـي – السعـودي رغم عدم ظهوره أو أخذه حيزًا كبيرًا ضمن أسباب التوتر بين الطرفين أحد التفسيرات المهمة والمنطقية لحالة التوتر بين الغريمين لا سِيَّما أنَّ النـظامين يدعيان إسلاميتهما، وأنَّهما يُطبقان الشريعة في أمور الدِّين والدنيا. وتُعد هذه النقطة المشتركة (محاولة احتكار الإسلام) أحد أكثر الأسباب التي تؤجج نار الصـراع بين الطرفين بسبب التنافس على حيازة هذه الشرعية والقوة الناعمة التي تخول لهما حق تمثيل أزيد من مليار ونصف المليار من مسلمي العالم، أمّا، السبب الثـانـي في هذا الأمر فيتمحور على طبيعة كل من الوّهَابيّة والخُمينية إذ هما إيديولوجيتان متناقضتان من الصعب جدًا أن يتعايشا نتيجة الطبيعة الإقصائية للوّهَابيّة وكذا تصورها القائم على أنَّها تُمثل الأُنموذج الحقيقي والنقي والوحيد للإسلام وللدولة الإسلامية.

وفي هذا الصـدد، تملك الوّهَابيّة مشروعًـا تاريخـيًا (دولة السلف الصالح) في حين تملك الشِّيعية مشروعًا انتظاريًا (عودة إمام الزمان) تعتبره هو الآخر الأُنموذج الإسلامي الصحيح والواجب الاقتداء به، وعلى هذا يخرج الصـراع من مجرد تزمت وّهَابيّ ضدَّ الشِّيعة وطقوسهم إلى تصور للدولة واستمرارها وشرعيتها، وما الوّهَابيّة أو الاثنا عشريّة في هذه الحالة سوى أدوات إيديولوجية فعالة لتحقيق هذا الغرض لما تملكانه من قوة على التجنيد والحشد،

www.manaraa.com

دلالة ذلك نجدها بالعودة إلى تاريخ العلاقات الإيرانية – السعودية والتي بدأت بشكل رسمي عام 1925 أي في عهد الشاه رضا خان والملك عبد العزيز، أين تميّزت العلاقات بين البلدين ــ آنذاك ــ بشكل عام حتّى الثورة الخُمينية بكونها حسنة إلى حد بعيد؛ فإيران لم تكن تُشكّل منافسًا إيديولوجيًا للسعوديين في حين يُعد نظام الخميني منافسًا إيديولوجيًا لهم من حيث يحاول تجريدهم من أهم نقاط قوتهم وهي الزعامة الإسلامية. والجدير بالإشارة هنا، أنَّ الصراع السعودي – الإخواني راجعٌ في جزءٍ منه إلى المنافسة التي يمكن أن يُشكّلها هذا التيار الإسلامي السُّنّي في حالة نجاحه على حساب التصور السعودي. كما أنَّ الصراع العثماني – السعودي ــ لا سِيَّما أيام الدولة السعودية الأُولى والثالثة ــ كان هو الآخر يندرج ضمن هذا الباب.

والحال، أنَّ الصورة السلبية التي يملكها الطرفان الوّهَابيّة والشِّيعية عن بعضهما البعض انعكست بشكل مباشر على الصراع السّياسي وجعل منها إحدى أهم قنوات تغذيته وإعادة إنتاجه، وقد سعت كل من إيران والسعودية على أرض الواقع إلى تصدير رؤيتهما في جميع أنحاء العالم الإسلامي. حيث يتنافس البلدان على الهيمنة الإقليمية السّياسية والروحية من خلال دعم الجماعات المتنافسة في الشرق الأوسط وفي مناطق أخرى في العالم. وكما هو الحال في جل الصراعات السّياسية تستخدم إيران والسعودية الحقائق التاريخية بطرق مختلفة لدعم رؤية كل منها. مع ذلك، لا يُمكننا اعتبار هذا النوع من الصراع صراعًا إيديولوجيًا أكثر منه صراعٌ سّياسي على القوة المعنوية والناعمة الناتجة عن هذا التمثيل الحصري للإسلام. فالإيديولوجية وحدها (الوّهَابيّة أو الخُمينية) لا يمكن إلقاء اللوم عليها في العلاقة المضطربة بين القوتين الإقليميتين، وإن كان هذا لا ينفي وجود خلافات إيديولوجية جوهرية بين إيران الخُمينية والسعودية الوّهَابيّة والتي انتقلت في بعض الأحيان إلى سّياساتهما الإقليمية واختيار الحلفاء.

www.manaraa.com

قـائمة المـراجـع:

أولًا: المراجع باللغة العـربيـة

أ. الكتب

(01) ارتس، بول، رولانتس، كارولين. **العربية السعـودية : مملكة في مواجهة المخاطر**، ترجمة: ابتسام الخضرا (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016).

(02) ارتس، بول، نونمان، غريد (تحرير). **المملكة العربية السعـودية في الميزان الاقتصاد السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية**. ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013).

(03) البريدي، عبد الله. **السلفية الشيعية والسُنّية بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي**، (بيروت: الشركة العربية للأبحاث والنشر، 2013).

(04) البغدادي، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد. **الفَرْقُ بين الفِرَق وبيان الفرق الناجية منهم**. تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، ط 5 (بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة، 1982).

(05) بكر، تامر طه. **السلفية بعيون غربية**. (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 2015).

(06) بن بشر النجدي الحنبلي، عثمان بن عبد الله. **عنوان المجد في تاريخ نجد**. تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ج 1، ط 4 (الرياض: مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، 1982).

(07) بن عبد الوهاب النجدي، سليمان. **الصواعق الإلهية في الرد على الوّهَابيّة**. ط 3 (إستانبول: مكتبة أشيق كتاب أوى، 1979).

(08) بن غنام، الحسين. **تاريخ نجد**. تحرير وتحقيق: ناصر الدين الأسد، ط 4 (بيروت: دار الشروق، 1994).

(09) بوركهارت، جون لويس. **ملاحظات عن البدو والوهابيين**. ترجمة: صبري محمد حسن، ج 2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة،2007).

(10) البوطي، محمد سعيد رمضان. **السلفية: مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**. (دمشق: دار الفكر، 1988).

(11) تويال، فرنسوا. **الشيعة في العالم صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم**. ترجمة: نسيب عون (بيروت: دار الفارابي، 2007).

(12) الخميني، سيد روح الله. **الحكومة الإسلامية**. ([د. م: د. ن.، د. ت.]).

(13) دحلان، أحمد بن زيني. **فتنة الوهابية**. (إستانبول: مكتبة أشيق كتاب أوى، 1978).

دخيل، محمد حسن. **أنظمة الحكم في الوطن العربي دراسة مقارنة**. (بيروت: دار مكتبة البصائر، 2014).

(14) السويدي، جمال سند. **السراب**، (أبو ظبي، [د. ن.]، 2015).

(15) العروي، عبد الله. **مفهوم الإيديولوجيا**. ط 8، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربـيّ، 2012).

(16) عمارة، محمد. **تيارات الفكر الإسلامي**. ط 2 (القاهرة: دار الشروق، 1997.

(17) (ـ، ـ). **فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفي**. سلسلة قضايا إسلامية العدد 124 (القاهرة: وزارة الأوقاف، 2006).

(18) العودة، سلمان بن فهد. **حوار هادئ مع محمد الغزالي**. (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1989.

(19) الغزالي، محمد. **ليس من الإسلام**. (القاهرة: دار الشروق، 1998).

www.manaraa.com

(20) الكاتب، أحمد. **الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري" حقيقة تاريخية ؟.. أم فرضية فلسفية ؟**. ط 7 ([د. م: د. ن.]، 2008).

(21) (ـــ، ـــ). **الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية**. ط 3 (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2008).

(22) (ـــ، ـــ). **تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه**. (بيروت: دار الجديد، 1998).

(24) مغنية، محمد جواد. **هذه هي الوّهَابيّة**. ([د. م: د. ن.، د. ت.]).

(25) مهنا، محمد نصر، معروف، خلدون ناجي. **تسوية المنازعات الدولية مع دراسة لبعض مشاكلات الشرق الأوسط**. (القاهرة: مكتبة غريب للطباعة والنشر، 1996).

(26) نوش، بنفشه كي. **العلاقات السعـــودية - الإيـــرانية منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم**. ترجمة: إبتسام بن خضراء (بيروت: دار الساقي،2017).

ب. المقالات:

(27) بدوي، منير محمود. "مفهوم الصـراع : دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع." **مجلة دراسات مستقبلية**: العدد 3، (يوليو 1997).

ت. الدراسات غير المنشورة:

(28) جاسم، فاخر. "تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة." (أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية غير منشورة، مقدمة إلى مجلس آلية القانون والسياسة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2008).

ث. المصادر الإلكترونية:

(29) "لاريجاني: السعـــودية ومنذ 60 عامًا كانت عاملًا لنشر ايديولوجية العنف." **وكالة أنباء فارس**: 23 مايو 2017، شوهد في 01 يونيو 2017، في: <http://bit.ly/2NLAnB3>

(30) خلجي، مهدي." الحذر بين المملكة العربية السعـــودية وإيـــران. " **معهد واشنطن**: 04 أكتوبر 2016، شوهد في 01 سبتمبر 2017، في: <http://bit.ly/2ujgPfg>

(31) الخميني، سيد روح الله. "الوصية الخالدة". **جمعية المعارف الإسلامية الثقافية**: ، شوهد في 01 فبراير 2017، في: <http://bit.ly/2JkngDE>

(32) الصيداوي، رياض. "الوهابية السعـــودية أخطر الحركات الدينية." **الحوار المتمدن**: العدد: 3020، 31 مايو 2015، شوهد في 01 فبراير 2018، في: <http://bit.ly/2uqxQn4>

(33) عبد الحي، وليد. "الجيو وهابية." شوهد في 01 فبراير 2018، في: <http://bit.ly/2zztgbT>

ثانيًا: المراجع باللـغة الأجنبيـة

a) E-SOURCES :

(34) Izady, Mehrdad."Demography of Religion in the Gulf." 2013, accessed on 13/10/2017, at: <http://bit.ly/2JlnaLW>

(35) Zarif, Mohammad javad. "let us rid the world of wahhabism.". **The New York Times**: 13/09/2016, accessed on 22/08/2017, at: <https://nyti.ms/2rfNBKu>

www.manaraa.com